الاتجاهات الوظيفية لخريجي أقسام المكتبات بالمملكة العربية السعودية

حسن عواد السريحي
أستاذ المكتبات والمعلومات المساعد بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة

المستخلص : تهدف هذه الدراسة المسحية إلى التعرف على الاتجاهات الوظيفية لخريجي أقسام المكتبات والمعلومات السعودية وسوق العمل المتاحة لهم الذي يتجه إليه هؤلاء الخريجون . وقد تبين للباحث أن التوجه نحو العمل في حقل التدريس يُشكل أكبر هذه التوجهات مما يعني ضرورة أخذ هذا في الحسبان عند التخطيط لمدارس المكتبات والمعلومات في المملكة وتطوير برامجها المختلفة . كما تبين للباحث أن العاملين في حقل المكتبات والمعلومات أو أولئك الذين يعملون في حقل التدريس ويعدون أنفسهم أنهم يعملون في حقل المكتبات والمعلومات ، إنهم يشعرون بالرضا تجاه وظائفهم.

أولاً - الإطار المنهجي :

١ / ١ - المقدمة :

للتنمية في أي بلد أركان تقوم عليها ، وقد تسمى هذه الأركان بالموارد التي يأتي منها الموارد المالية ، والموارد التنظيمية كالأجهزة والهيئات والمؤسسات المختلفة ، والموارد الطبيعية أو الأولية ، والموارد البشرية، والموارد البشرية هي العامل الأهم لدراستنا هذه الذي نتلمس بعض جوانبه في حقل مهم هو المكتبات والمعلومات . هذا المورد يطلق عليه مسميات كالقوى العاملة مثلاً الذي يعني الإنسان المدرب والمؤهل لأداء وظيفة من الوظائف أو عمل من الأعمال . وتأهيل الموارد البشرية في أي بلد يكون ضمن خطة أو خطط تنمية متوازنة لها أهداف بعيدة وقصيرة المدى تستهدف إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات التعليمية والتدريبية في القطاعات والحقول المختلفة ليتم الاستفادة من خريجي هذه المؤسسات في تطوير البلد وتنميته .

وأقسام المكتبات والمعلومات في الجامعات السعودية ومؤسسة التدريب الأولى في المملكة (معهد الإدارة العامة) تهدف إلى تأهيل قوى بشرية وطنية تسهم في تحقيق أهداف التنمية التي رسمتها الدولة عبر خططها الست . فالحركة المعلوماتية القومية في المملكة التي تمثلها المكتبات ومراكز المعلومات المنتشرة ووجود شبكات وخدمات المعلومات الحكومية والتجارية بشكل لافت للنظر ، هي بحاجة لهذه القوى العاملة المؤهلة التي تخرجها هذه الأقسام كل عام لتسهم في نهضة سعودية شاملة تمثل المعلومات جانباً مهماً منها .

والتطورات الاقتصادية العالمية والاتجاه نحو السوق الحر والخصخصة وما إلى ذلك من أمور اقتصادية فرضها الانفتاح العالمي والتنافس الدولي في كل المجالات ، كل هذه ألقت بظلالها على سوق العمل في كل الحقول والمهن . فسوق العمل محكوم بلا شك بنظرية العرض والطلب ، ومهنة المكتبات والمعلومات تتأثر بهذه الأوضاع وتتفاعل معها، ولذلك تطورت هذه المهنة بشكل تنوعت فيه المهام التي يقوم بها أمين المكتبة أو اختصاصي المعلومات . يقول ولفرد لانكاستر Lancster في ١٩٨٣م إن أمين المكتبات واختصاصي المعلومات في المستقبل سيكون لهما دور نشط في التعليم والتدريب ، فهم سيقومان بمساعدة رواد المكتبات على الاختيار والدخول واستخدام المكتبات ومصادر المعلومات عبر الشبكات للحصول على المعلومة (١) . وهذه إشارة إلى التطور المستمر للعاملين في هذا الحقل وحاجتهم للتأهيل الجيد الذي سيقابل الفرص الوظيفية المتاحة لهم . وطبقاً لقاعدة العرض والطلب؛ فإن التوجهات

الوظيفية لخريجي هذه الأقسام المهنية تحكمها حالة السوق وتوافر الوظائف وتفاوت المزايا التي تمنحها لمن يشغلها ، وإلا انتشرت البطالة نتيجة لقلة العرض وكثرة الطلب .

والفرص الوظيفية المتاحة لخريجي أقسام المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية كثيرة ومتنوعة تبدأ من العمل في المكتبات بأنواعها المتعددة ومراكز المعلومات المختلفة وتمر بفرص العمل في وزارة المعارف في حقل التدريس أو الإشراف على المكتبات المدرسية في الوزارة وانتهاءً بفرص العمل التي يطرحها القطاع الخاص مثل المؤسسات الصحفية ومؤسسات خدمات المعلومات والنشر المنتشرة في المملكة بكثرة وغيرها العديد من الفرص الوظيفية المتاحة لخريج هذا الحقل المتطور في هذا البلد النامي والمنفتح على العالم .

١ / ب - مشكلة الدراسة :

يقوم البحث الحالي على دراسة المشكلة المصاغة في السؤال الآتي :

ما الاتجاهات الوظيفية لخريجي أقسام المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية والدوافع وراء هذه التوجهات ؟

١ / ج - أهداف الدراسة :

لعل الغرض الأساس من هذه الدراسة هو الإجابة عن مشكلة الدراسة المصاغة في شكل سؤال . فهذه الدراسة تهدف إلى التعرف على الاتجاهات الوظيفية لخريجي أقسام المكتبات والمعلومات السعودية وسوق العمل المتاحة لهم الذي يتجه إليه هؤلاء الخريجون . وبشكل أدق يمكن وضع أهداف هذه الدراسة في النقاط الآتية :

١ - الإضافة للإنتاج الفكري المنشور عن الحركة المكتبية في المملكة العربية السعودية .

٢ - التعرف على الاتجاهات الوظيفية لخريجي أقسام المكتبات والمعلومات السعودية .

٣ - التعرف على الأسباب والدوافع لهذه التوجهات الوظيفية .

٤ - التعرف على مدى رضا هؤلاء الخريجين عن العمل في مناصبهم التي يشغلونها .

١ / د - أسئلة الدراسة :

لتحقيق أهداف هذه الدراسة قام الباحث بطرح الأسئلة البحثية الآتية :

١ - ما الاتجاهات الوظيفية لخريجي أقسام المكتبات والمعلومات السعودية من حيث :

١ / أ - طبيعة العمل : هل العمل في مجال المكتبات والمعلومات أم لا ؟

٢ / ب - التخطيط للوظيفة: هل خطط هؤلاء الخريجون لهذه الوظائف مسبقًا وقبل التخرج أولاً ؟

٢ - ما الأسباب وراء الاختيارات الوظيفية لهؤلاء الخريجين ؟

٣ - هل يشعر هؤلاء الخريجون بالرضا عن وظائفهم الحالية ؟ وما السبب وراء ذلك ؟

١ / هـ - حدود الدراسة ومجالها :

تقوم هذه الدراسة في الحدود والمجال الآتي :

١ - المجال المكاني :

اقتصرت هذه الدراسة على خريجي أقسام المكتبات والمعلومات والعاملين في المملكة العربية السعودية في أي مجال من المجالات سواء داخل مهنة المكتبات والمعلومات أو خارجها .

٢ - المجال البشري :

انحصرت هذه الدراسة على السعوديين من الحاملين لمؤهل علمي في المكتبات والمعلومات . فالخاصية الأهم في جانب كبير من الدراسة كانت هي حصول الفرد على شهادة في تخصص المكتبات والمعلومات فقط ولا يهم أين يعمل ولحساب من ؟ كما نظرت هذه الدراسة في توجهات عينة من الطلاب المتخرجين حديثًا في أقسام المكتبات والمعلومات والطلاب الذين على وشك التخرج (في آخر فصل دراسي لهم) وذلك لمعرفة توجهات الطلاب القادمين لهذا التخصص حديثًا والقريبين من التخرج والانخراط في سوق العمل وإضافة كل هذا للمعلومات المستقاة من أولئك الذين على رأس العمل حالياً من خريجي هذه الأقسام .

٣ - المجال الزمني :

يشمل المجال الزمني لهذه الدراسة الفترة التي تم

فيها جمع البيانات من عينات الدراسة . فلقد تم جمع البيانات الخاصة بالخريجين الذين هم على رأس العمل خلال النصف الأول من عام ١٩٩٥م، ولم يكن هناك تحديد للسنة التي حصل فيها المبحوث على درجته في المكتبات والمعلومات . أما عينة الطلاب الذين ينوون الانخراط في أقسام المكتبات والمعلومات فتم اختيار مجموعتين من الطلاب الذين تقدموا لقسم المكتبات والمعلومات في نهاية عام ١٩٩٥م وبداية عام ١٩٩٦م ، وبالنسبة للطلاب الذين على وشك التخرج فقد تم طرح الأسئلة على أربع مجموعات في أربعة فصول دراسية منذ عام ١٩٩٥م وحتى الفصل الدراسي الأول لعام ١٩٩٦ - ١٩٩٧م .

١ / و - أهمية الدراسة :

لموضوع هذه الدراسة علاقات متشعبة وذات أبعاد اجتماعية واقتصادية وتربوية أو تعليمية ومنهجية تجعل من الخوض في غماره أمراً مهماً وضرورياً . ففي عالم يعيش عصر الاقتصاد الحر وأمر الوظيفة والحصول عليها يمثل عنصراً مهماً في حياة الفرد ورفاهيته مما يوضح ويؤكد بعضاً من الجانب الاجتماعي والاقتصادي . وعلى الجانب الآخر والأكثر أهمية في هذه الدراسة هو التوجهات الوظيفية لخريجي هذه الأقسام وتوافق تلك التوجهات مع السياسات العامة لهذه الأقسام، وما هو متوقع منها إضافة للمناهج التي تقدمها ومدى ملاءمتها لإعداد هؤلاء الخريجين لسوق العمل الذي سيعملون به ونوعيات الوظائف والمهن التي يتوجه لها هؤلاء الخريجون ويفضلونها .

فالدراسة الحالية تضع أمام صناع القرار وواضعي السياسات التعليمية في الجامعات، وهذه الأقسام بالذات، صورة حقيقية لتوجهات سوق العمل في الفترة الحالية من خلال أفواج الخريجين واتجاهاتهم الوظيفية من حيث تفضيلهم لنوعيات معينة من الوظائف. فالمؤشرات التي تخرج بها هذه الدراسة ستعين بلا شك في رسم بعض السياسات وتعديل البعض الآخر ومقارنتها مع الأهداف المهنية لهذه المدارس . كما ستعين الدراسة الحالية في معرفة تأثير هذه التوجهات الوظيفية على بعض الوظائف التي يرغب المتخصصون في توفير قاعدة مهنية مؤهلة لها وكيفية مواجهة ذلك .

١ / ز - مصطلحات الدراسة :

لعل أهم مصطلح تناولته هذه الدراسة هو مصطلح الاتجاهات الوظيفية ، وحتى لا تختلط دلالات هذا المصطلح فإن الباحث يورد التعريف الإجرائي الآتي لمصطلح الاتجاهات الوظيفية .

الاتجاهات الوظيفية : يُقصد بالاتجاهات الوظيفية في هذه الدراسة الهدف أو المكان الذي اختاره أو ينوي اختياره المؤهل في تخصص المكتبات والمعلومات كوظيفة دائمة بعد الحصول على هذا المؤهل العلمي .

١ / ح - منهج وإجراءات الدراسة :

استخدم الباحث المنهج المسحي Survey Methodology للإجابة عن أسئلة الدراسة المطروحة. ويعد المنهج المسحي هو أنسب المناهج في مثل هذه الدراسات الميدانية التي تهتم بجمع البيانات من مفردات الدراسة فتقيس بذلك توجهاتهم الوظيفية والأسباب التي دعتهم لتلك الاختيارات وآراءهم حول وظائفهم التي يشغلونها وما إذا كانوا يشعرون بالرضا عنها أم لا .

١ - مجتمع وعينات الدراسة :

يتكون مجتمع الدراسة الرئيس من أولئك الحاصلين على مؤهل علمي في حقل المكتبات والمعلومات . وإضافة لذلك فإن الباحث قام باستقصاء آراء أولئك الذين على وشك التخرج والحصول على بكالوريوس في علم المكتبات والمعلومات وأولئك الذين ينوون التخصص في هذا الحقل .

ولقد تم اختيار عينة من كل فئة من هذه الفئات وتم توزيع استبانة موجهة لها ومكونة من ورقة واحدة . ولقد تم توزيع استبانة على عينة الدراسة الرئيسة والمكونة من ٢٥٩ فرداً حاصلين على مؤهل في حقل المكتبات والمعلومات تم اختيارها باستخدام طريقة الصدفة Accidental Sample وذلك لأن الباحث هنا يقيس رأي جماعة محددة في قضية أو ظاهرة محددة ، ومجتمع هذه الدراسة غير محدد الأماكن وليس معروفاً بدقة حتى يمكن اختيار عينة عشوائية منه . فالتوزيع الجغرافي وعدم وجود أداة يمكن معرفة أماكن وجود أصحاب الخاصية

الأساسية في هذه الدراسة ، الحصول على مؤهل في المكتبات والمعلومات ، عن طريقها شجع الباحث ودفعه لاختيار العينة بهذه الطريقة دون أي تحيز . فالمعيار الأساس للاختيار كان هو حصول الفرد على المؤهل العلمي في هذا التخصص، ولذلك تم اختيار كل من قابلهم الباحث بنفسه أو فريق العمل المساعد له وتم الاتصال بعينة كبيرة من أولئك الذين قام المساعدون باستلام الاستبانات منهم، وذلك للتأكد من أنه قد تم بالفعل إعطاؤهم الاستبانات وأنهم قد أجابوا عنها بكل حرية دون أية ضغوط ، وقد اتخذ الباحث هذا الإجراء للحفاظ على مصداقية الدراسة ونتائجها . وقد تم استبعاد ٣٤ استبانة غير صالحة للتحليل .

أما الاستبانة الثانية فكانت موجهة للطلاب الذين على وشك التخرج ويدرسون آخر فصل دراسي لهم في الجامعة. فتم اختيار كل الطلاب المتخرجين من قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبدالعزيز لأربعة فصول دراسية كان آخرها الفصل الدراسي الأول لعام ١٩٩٦ - ١٩٩٧م . وقد احتوت استبانة هذه المجموعة على سؤالين اثنين فقط تتعلق بالوظيفة التي يأملون الانخراط بها والدافع أو الدوافع وراء هذا الاختيار . وقد تم جمع ١٧٠ استمارة صالحة للتحليل من هذه المجموعة .

أما بالنسبة للاستبانة الثالثة فقد كانت موجهة للطلاب الذين تقدموا للدخول في قسم المكتبات والمعلومات، وتم استقصاء آرائهم حول الأسباب التي تدعوهم للدخول في هذا التخصص ولقياس بعض التوجهات الوظيفية الأولية لدى المستجدين في أقسام المكتبات والمعلومات . وقد تم توزيع هذه الاستبانة على ٧٥ طالبًا تقدموا للمقابلة الشخصية لقسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة في فصلين دراسيين كاملين (نهاية ١٩٩٥م وبداية ١٩٩٦م) ، وقد تم تحليل ٦٤ استبانة صالحة وتم استبعاد ١١ استبانة لا تصلح للتحليل .

ولقد تم التأكيد في كل الأحوال ولجميع الأفراد المبحوثين أن المعلومات التي يدلون بها لا تستخدم إلا لأغراض بحثية علمية فقط، ولا يمكن إظهار نتائج أو تحليل بيانات شخصية والتعريف بصاحبها لأن هذا يتنافى مع أبسط قواعد الحفاظ على سرية البحث والمبحوثين وعدم المساس بحريتهم الشخصية ، وثانيًا لأن طبيعة هذه الدراسة ترمي لدراسة ظاهرة بعينها وليس حالات أفراد.

٢ - التحليل الإحصائي :

بعد ترميز الاستبانات الصالحة للتحليل ، قام الباحث باستخدام برنامج الإحصاء المعروف SAS وذلك لإجراء العمليات الإحصائية المناسبة . وقد تم الاعتماد على الإحصاء الوصفي للحصول على النسب والتكرارات التي تكفي لتحقيق أهداف الدراسة وعرضها وتجيب عن تساؤلاتها . كما لجأ الباحث في بعض الحالات المحددة عند تحليل الاستبانة الرئيسة لإجراء اختبار العلاقات مربع كاي Chi-Square وذلك للتعرف على بعض العلاقات إن وجدت .

ثانيًا - الإطار النظري :

٢ / ١ - تدريس علوم المكتبات والمعلومات في المملكة:

لعله من الضروري في دراسة تتناول اتجاهات العمل لدى خريجي أقسام المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية أن تعطي صورة حالية مبسطة لأقسام المكتبات والمعلومات هذه . ولن تقوم الدراسة الحالية باستعراض نشأة وتطور تعليم المكتبات والمعلومات في هذه البلاد فلقد كتب الكثيرون في ذلك ومنهم محمد صالح عاشور وعبدالستار شودري (٢) وسريع محمد السريع (٣) وأنس صالح طاشكندي (٤) وعبدالستار الحلوجي (٥) وحسن عواد السريحي (٦) ومحمد مكي السباعي (٧) ومحمد فتحي عبدالهادي وأسامة السيد محمود (٨) وغيرهم الكثيرون . ولكن الدراسة الحالية ستعطي بشكل مختصر بيانات بالأقسام العلمية التي تقدم دراسات في علوم المكتبات والمعلومات في المملكة والدرجات التي تمنحها وآخر إحصاءات الخريجين من هذه الأقسام، وذلك لارتباط الدراسة الحالية بالخريجين واتجاهاتهم .

فتدريس علوم المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية على المستوى الجامعي يتم من خلال أربعة أقسام في كل من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة وهو أقدمها

نشأة (١٩٧٣م) وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (١٩٧٤م) وجامعة الملك سعود بالرياض (١٩٨٦م) وجامعة أم القرى بمكة المكرمة (تأسس القسم في عام ١٩٨٥م، ولكن الدراسة بدأت عام ١٩٨٧م) كما هو معروف. كما يوجد قسم للمكتبات والمعلومات خاص بالسيدات بكلية الآداب بالرياض (١٤١٥هـ) التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات، ويقدم برامج دراسات جامعية مختلفة . ويقدم الجدول رقم (١) وصفًا تفصيلياً لهذه الأقسام الجامعية بمسمياتها وتواريخ نشأتها والشهادات التي تمنحها والجنس الذي تخدمه (ذكوراً أم إناثاً) إضافة إلى أعداد الخريجين من كل قسم حسب ما توافر لدى الباحث من مراسلته لهذه الأقسام ومهاتفتها كما يوضح أعداد الخريجين من برنامج معهد الإدارة العامة . فإضافة لهذه الأقسام الجامعية الموضحة في الجدول رقم (١)، فإن معهد الإدارة العامة بمركزه الرئيس بالرياض وفرعيه في جدة والدمام يوفر برنامجًا لدراسات المكتبات، حيث يقدم العديد من الدورات التأهيلية في التزويد والببليوجرافيا والتكشيف والفهرسة والتصنيف والإعارة والخدمات المرجعية والوثائق الحكومية وإدارة المكتبات التي تمنح شهادات الدبلوم تحت الجامعي للملتحقين من الذكور والإناث .

وإضافة لهذه الدورات التأهيلية التي يتحصل فيها المقبولون بها على المرتبة الرابعة ثم المرتبة الخامسة حسب نظام الخدمة المدنية بعد حصولهم على دبلوم المكتبات ، فإن المعهد يقدم دورات تدريبية متفرقة وبمدد مختلفة تتراوح بين الأسابيع والأشهر الأربعة، وذلك لمن هم على رأس العمل ويتم ترشيحهم لهذه الدورات من قبل جهات عملهم (٩) . فدورات معهد الإدارة إما تأهيلية أو تطويرية مما يدخل ضمن ما يعرف ببرامج التطوير المهني أو التعليم المستمر .

الجدول رقم (١)

المسمى	الجهة التي يتبع لها	تاريخ الإنشاء	الشهادات التي يمنحها	الجنس	الخريجون: بكالوريوس	الخريجون: ماجستير	الخريجون: دكتوراه
قسم المكتبات والمعلومات	جامعة الملك عبدالعزيز	١٩٧٣	بكالوريوس/ماجستير/دكتوراه	ذكور وإناث	١١٧٦	٥٣	لايوجد
قسم المكتبات والمعلومات	جامعة الإمام	١٩٧٤	بكالوريوس/ماجستير/دكتوراه	ذكور وإناث	٦٨٤	١٥	٨
قسم علوم المكتبات والمعلومات	جامعة الملك سعود	١٩٨٦	بكالوريوس	ذكور	٢٨٣	لا يوجد	لايوجد
قسم المكتبات والمعلومات	جامعة أم القرى	١٩٨٧	بكالوريوس	ذكور	١٢٠	لايوجد	لايوجد
قسم المكتبات	كلية الآداب للبنات	١٩٩٥	بكالوريوس/ماجستير/دكتوراه	إناث	٣٨٤	٣	لا يوجد
برنامج دراسات المكتبات	معهد الإدارة العامة	١٤٠٧هـ	دورات - دبلوم	ذكور وإناث	العدد إجمالاً هو ٢٧٢٦		

* تم الحصول على البيانات المعطاة في الجدول عبر المراسلات والاتصالات الهاتفية بمسئولي القبول في جامعة الملك سعود ومعهد الإدارة العامة ، ورئيس القسم المكلف بجامعة الإمام أيمن الغفيلي ، ورئيس القسم بجامعة أم القرى عبداللطيف سمرقندي ، ووحدة المعلومات والإحصاء ومسئول الدراسات العليا بالقسم بجامعة الملك عبدالعزيز ، وخطاب وكيلة كلية الآداب للبنات للدراسات العليا رقم ١٣٠٨ك . د .

٢ / ب - التصنيف الوظيفي لخريجي المكتبات والمعلومات في المملكة :

لابد من الإشارة منذ البداية إلى أن هناك فرقًا بين التوصيف الوظيفي Job Description الذي يعني تفصيل بعناصر ومهام ومكونات الوظيفة والمسئوليات والعوامل والمؤهلات والمهارات اللازمة لشغلها ، وبين التصنيف الوظيفي Job Classification الذي يعني ترتيب هذه الوظائف وتنظيمها في فئات أو مراتب ودرجات وذلك حسب المؤهلات والمهارات المطلوبة لكل وظيفة .

ولقد نشر عباس صالح طاشكندي دراسة عن القوى البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية ففصل في نظام تصنيف الوظائف الخاص بهؤلاء العاملين حيث أوضح أن نظام تصنيف الوظائف يقوم بتعيينهم على مجموعتين من الوظائف وهي :

"الأولى : وظائف المكتبات ، ضمن المجموعة النوعية الخاصة بوظائف الشئون الثقافية والاجتماعية .

الثانية : وظائف إدارة الحاسب الآلي ، ضمن المجموعة النوعية لوظائف الحاسب الآلي" (١٠) .

وهذه النظرة التقليدية لوظائف المكتبات استمرت حتى النصف الثاني من التسعينات الحالية بالرغم من تطور علوم المكتبات والمعلومات ووضوح الارتباط الكبير بينهما . حيث يقوم نظام تصنيف الوظائف بتمثيل وظائف المكتبات ضمن المجموعة النوعية لوظائف المكتبات والوثائق والمحفوظات والمخطوطات التي تشتمل مسميات وظائفها على الآتي (١١) :

(مدير – مدير عام – مأمور – مأمور مشرف – باحث مكتبات مساعد – باحث مكتبات – أخصائي مكتبات – مساعد أمين مكتبة – أمين مكتبة – أمين مكتبة مشرف – مفهرس – رئيس قسم – مساعد مرمم – مرمم – مرمم مشرف) . مع وجود مراتب مختلفة للمسمى الوظيفي الواحد في أحيان كثيرة ، فهذه النظرة التقليدية لم تختلف حتى مع التعديلات الدائمة التي يدخلها الديوان العام للخدمة المدنية على دليله الخاص بتصنيف الوظائف . وهذا الفصل ، كما أوضحه من قبل عباس طاشكندي بين وظائف المكتبات ووظائف المعلومات ، التي أخذت في الحسبان ضمن المجموعة النوعية لوظائف الحاسب الآلي، يرسخ في الأذهان هذا الفصل بين اختصاصي المكتبات واختصاصي المعلومات ولا يتواكب مع التطور الحاصل في حقل المكتبات والمعلومات وتوسع الشبكات ونُظمها ودخول المملكة العربية السعودية لهذا العالم بقوة كرائد من الرواد في العالم العربي . فوجود مؤسسات المعلومات المختلفة في المملكة وتوافر البنية الأساسية القوية والتركيز على المعلومات ونظمها في خطط التنمية يعد مؤشرات قوية لهذا الرقي الذي تفتقده دول كثيرة في المنطقة .

٢ / ج - الدراسات السابقة :

لم يسبق لأحد ، حسب علم الباحث أن درس الاتجاهات الوظيفية لخريجي أقسام المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية بالشكل الذي تتناوله الدراسة الحالية . ولكن هناك بعض الدراسات العامة التي تناولت موضوع القوى العاملة في حقل المكتبات والمعلومات .

ولذلك فإن الباحث في الدراسة الحالية يضع حدوداً وسيعرض لأهم هذه الدراسات العامة ثم يتناول بعض النماذج لدراسات سعودية تمت في حقول غير المكتبات والمعلومات قبل أن يعرض لنماذج من الدراسات الأجنبية في هذا الموضوع .

ولعل دراسة علي إبراهيم النملة التي نشرها في بداية عام ١٤٠٥هـ من أوائل هذه الدراسات ، حيث تعرض النملة لمشكلة العجز في القوى العاملة وتأثير ذلك على تطور علم المكتبات والمعلومات ومسيرة المكتبات ومراكز المعلومات بأنواعها المختلفة والخدمات التي تقدمها (١٢) . وقد سلط النملة الضوء على هذه المشكلة من خلال خطة التنمية وخاصة الخطة الخمسية الثالثة . وبيّن النملة ما لهذا العجز في الموارد البشرية المؤهلة من تأثير على المكتبات وإدارتها وتسييرها واستمرار تطورها وانتشارها في المملكة. ثم انتقل للحلول وطرح بعض الأفكار العامة والمتخصصة حيث نادى بدعم حركة التعليم العام ونشرها بقوة إضافة لنشر وتقوية تعليم علوم المكتبات والمعلومات وهو الأمر الذي تحقق بشكل أقوى حيث تضاعف عدد المدارس التي تدرس هذا العلم منذ ذلك الزمن . كما نادى النملة بمؤسسة مهنية كجمعية المكتبات والمعلومات على أن تكون لها نشاطات في المناطق المختلفة إضافة لدعم التعاون بين المكتبات ودفع المكتبيين لمواصلة التعليم والتطوير من قدراتهم ثم تسويق المكتبة من خلال توعية مكتبية جيدة .

وحقيقة؛ فإنه قد تحققت معظم وليس كل توصيات النملة المنادية بمؤسسة مهنية فاعلة في جميع مناطق البلاد ودعم لمفهوم التعليم المستمر واستعمال أساليب إبداعية لنشر الوعي المكتبي ودعم وتوزيع لمؤسسات تعليم علوم المكتبات والمعلومات . وبما أن هناك العديد من أقسام المكتبات والمعلومات في الجامعات السعودية بدأت ترسل لسوق العمل أفواجًا من الخريجين المؤهلين للعمل في شتى الفرص الوظيفية المتاحة في هذا الحقل ، فإن دراسة لهذه التوجهات الوظيفية لهؤلاء الخريجين تصبح مهمة في المرحلة الحالية ولتبنى على الأفكار التي بينتها دراسة النملة .

دراسة أخرى مهمة تناولت موضوع القوى العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات بشكل أكثر عمقًا كانت دراسة عباس صالح طاشكندي (١٣) . ففي هذه الدراسة تناول عباس طاشكندي موضوع القوى البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية بالبحث حيث قنوات التأهيل المهني والفني لهؤلاء العاملين فتعرض لمؤسسات وأقسام تعليم المكتبات والمعلومات والبرامج التي تقدمها. والناحية الأخرى التي غطتها دراسة الطاشكندي هذه هي دراسة الواقع الفعلي لهذه القوى البشرية وتوزيعها من خلال الإحصاءات الرسمية الحديثة التي عرضها كما بينت الدراسة أيضًا التصنيف الوظيفي لوظائف المكتبات ومراكز المعلومات وحللت مدى ملاءمتها للواقع المتطور الذي تعيشه هذه المهنة المتجددة .

فدراسة عباس طاشكندي تناولت جانب التأهيل المكتبي في المملكة وجانب الواقع الفعلي لسوق العمل والعاملين فيه، وقارنت بينهما وخلصت بمؤشرات توضح حركة نمو القوى البشرية في المكتبات ومراكز المعلومات وتطور النمو في الجانبين بشكل واضح حيث ازدادت القوى العاملة كما زاد عدد الخريجين إضافة لتنوع برامج الإعداد والتأهيل . كما ناقش بحث الطاشكندي موضوع التصنيف الوظيفي للعاملين في المكتبات ومراكز المعلومات وشروط الوظائف ومسمياتها فعرضها بشكل واضح وأبدى ملاحظاته المهنية على عدة جوانب فبين إغفالها لمتطلبات التأهيل المهني وعدم مراعاتها للاعتبارات المهنية في تسمية الوظائف والخلط في المسئوليات التخصصية والمسميات إضافة للنظرة التقليدية للمهنة مما أدى لكل ما سبق ؛ وعدم التعبير عن الواقع الوظيفي الفعلي في المكتبات ومراكز المعلومات .

ودراسة عباس صالح طاشكندي دراسة مهمة للدراسة الحالية لتعرضها لواقع سوق العمل والتصنيف الوظيفي لهؤلاء العاملين . إضافة لتناولها موضوع التأهيل المهني في هذا التخصص . ولعل المعالجة القوية في هذه الدراسة لهذه الجوانب في فترة زمنية مضى عليها الآن أكثر من عشر سنوات يجعل من طرق موضوع القوى العاملة في هذا الحقل من أي جانب أمرًا في غاية الأهمية خاصة مع تطور تعليم المكتبات والمعلومات والسوق الوظيفية في المملكة .

ومن الدراسات التي تناولت الخريج الجامعي السعودي بصفة عامة كانت دراسة غازي محمود حبيب الاستطلاعية التي استهدفت معرفة الخطط المستقبلة للخريج بعد التخرج والعوامل ذات التأثير على توجهاته (١٤) . وبتحديد أكبر هدفت هذه الدراسة إلى معرفة هذه التوجهات عن طريق معرفة مخططات الخريجين بين مواصلة الدراسات العليا أو التفرغ للعمل أو الجمع بين الاثنين والأسباب وراء ذلك ، إضافة لبحثها عن العوامل وراء قرار هذا الخريج للعمل في القطاع الحكومي أو القطاع الخاص .

وقد اختار الباحث عينة من طلاب السنة النهائية في كل من جامعة الملك سعود وجامعة الملك فيصل وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، وقام بتحليل ٢٤٨ استبانة تم تعبئتها من قبل هذه العينة وتحليل نتائجها باستخدام الإحصاء الوصفي المعتمد على النسب والتكرارات . وقد جاءت هذه العينة لتمثل حوالي ثمانية عشر تخصصًا علميًا يمثلون العلوم البحتة والتطبيقية والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية .

وقد توصل الباحث إلى أن أغلب الخريجين يرغبون في مواصلة دراستهم أثناء العمل (٥٨٪) ، كما يرغب حوالي ٥٥٪ في العمل في القطاع الحكومي فيما وجدت الدراسة أن ٣٣٪ يرغب العمل في القطاع الخاص وحوالي ١٢٪ في الاهتمام بأعمالهم الخاصة بهم وعوائلهم . من ناحية أخرى وجدت الدراسة أن عوامل كالتطوير الوظيفي ومكان العمل وفرص التدريب تأتي في أهميتها للخريجين قبل الراتب ومكافأة الخمسين ألف التي كانت تصرف للخريج في تلك الفترة والمكانة الاجتماعية عند التفكير في العمل الحكومي . بينما يأتي الراتب وطبيعة العمل قبل كل هذه عند التفكير في العمل الخاص . أما عن ترتيب الحوافز بشكل عام فقد كان الراتب ومكان العمل وفرص التدريب والتطوير الوظيفي في أعلى القائمة .

ولعل علاقة دراسة غازي حبيب بالدراسة الحالية

تنشأ من كونها دراسة أخذت على عاتقها التعرف على التوجهات العملية أو الوظيفية للخريج الجامعي السعودي والعوامل التي تؤثر في ذلك ، وهذا ما تفعله الدراسة الحالية بشكل آخر وهو تحديد الدراسة في خريجي تخصص واحد فقط ومعرفة توجهاتهم الوظيفية . من ناحية أخرى فالدراسة الحالية لم تسأل عن مواصلة الدراسة من عدمه والأسباب في ذلك ، بينما ركزت على أين يريد الذهاب هذا المؤهل بشهادة في حقل المكتبات والمعلومات أو القادم له ؟ ويعاب على دراسة حبيب صغر العينة التي درست خريجي حوالي تسعة عشر تخصصًا علمياً ، فيما قامت هذه الدراسة باستقصاء عدد أكبر من ذلك وفي تخصص واحد فقد لوضوح المؤشرات لهذه التوجهات بشكل أكثر أمنًا . من جانب آخر فقد افتقرت دراسة الحبيب الاستطلاعية هذه إلى التقديم النظري لها حتى ولو كان ذلك بشكل سريع . ومع هذا فتبقى دراسة حبيب دراسة ذات علاقة مهمة للدراسة الحالية دون أدنى شك .

أما إذا تركنا الدراسات العامة وحاولنا عرض عينة من الدراسات القريبة لموضوع هذه الدراسة ومن مجالات علمية أخرى فإننا نجد أن الأدب المنشور يقدم بعضًا منها.

فقد قدم ساعد العرابي الحارثي ورقة عمل لندوة واقع إدارات العلاقات العامة في الأجهزة الحكومية حول ملاءمة تأهيل خريجي أقسام الإعلام في الجامعات السعودية لمتطلبات العمل في القطاعين الحكومي والأهلي (١٥) . وفي هذه الورقة تعرض الحارثي للجدل الدائر حول جدوى الدراسات الإعلامية عمومًا وماهية المفهوم العربي للإعلام وأهمية الدراسات الإعلامية من خلال عرضه للتأهيل الأكاديمي الإعلامي في الجامعات السعودية ضمن إطار التعليم الجامعي وما يتخلله من دراسات نظرية وعملية . كما تعرض مقدم الورقة بشكل مقتضب جداً لملاءمة تأهيل خريجي أقسام الإعلام للمتطلبات العلمية ثم عرض بعض المقترحات التي تدور حول التخطيط الصحيح لمؤسسات الإعلام التعليمية ووجوب تعاونها وتوحيد جهودها . كما أبرز ضرورة إيمان المؤسسات والهيئات المستقبلة للخريجين بقيمتهم والمؤسسات التعليمية بأهمية التخصص والمؤسسات الوظيفية بكادر خاص لخريجي أقسام الإعلام.

ولعل أهمية دراسة الحارثي للدراسة الحالية أهمية محدودة بعلاقتها بموضوع التأهيل الوظيفي لخريجي الجامعات السعودية حتى لو كانت تغطيتها لخريجي أقسام الإعلام من جانب وتناولها النظري البحت للموضوع . والسبب في إدراجها هو إيراد نموذج لدراسة سعودية من تخصص آخر غير المكتبات والمعلومات يعالج موضوع التأهيل الوظيفي في ذلك التخصص .

وفي دراسة مغايرة في شكلها والتخصص الذي تناولته قام قسم إدارة الأعمال بجامعة الملك سعود بالرياض بإعداد دراسة عن اتجاهات المنشآت السعودية نحو التكوين الأكاديمي لخريج قسم إدارة الأعمال ، وذلك بالتعاون مع الأمانة العامة لمجلس الغرف التجارية السعودية (١٦) . وقد قام فريق العمل في قسم إدارة الأعمال بالجامعة في النصف الأول من عام ١٤١٠هـ باستقصاء وجهة نظر المسئولين عن التوظيف في هذه المنشآت لمعرفة حاجاتهم من الخريجين من حيث الأعداد والتخصصات المطلوبة . كما بينت الدراسة أي المنشآت حسب طبيعتها يدرك أهمية الحاجة للخريج المتخصص من سواها وما أولويات هذه المؤسسة بناءً على طبيعة النشاط الذي تمارسه ؟

وما ذكر عن دراسة الحارثي وعلاقتها بالدراسة الحالية ينطبق تمامًا على دراسة قسم إدارة الأعمال بجامعة الملك سعود . فهي نموذج آخر لدراسات سعودية في التخصصات المختلفة، وتتناول في عمومها موضوع التوظيف والتوجهات الوظيفية ولكن بشكل يختلف عما تقوم به الدراسة الحالية التي تتناول توجهات الخريج الوظيفية وليس احتياجات سوق العمل .

أما بالنسبة للدراسات الأجنبية فهي متنوعة ومتعددة التوجهات والأهداف . ولتعدد هذه الدراسات وتنوعها واختلاف أماكنها الجغرافية ، إضافة لعدم وجود أية دراسة مشابهة (على حد علم الباحث) لما يقوم به الباحث في الدراسة الحالية ، فإن عرض هذه الدراسات الأجنبية سيتم حسب تنوعها هذا ، وبطريقة أخذ الأمثلة المتفرقة من هذه الدراسات بغرض إبراز هذه التوجهات كافة من عدة

دول في العالم حتى تصبح الصورة أكثر شمولية . ولن يقوم الباحث بعرض الدراسات القديمة جداً ، وإنما يتم التركيز على الدراسات التي تمت في الثمانينات والتسعينات أكثر من غيرها .

فلقد قامت مارجريت مايرز Myers بنشر دراسة عن سوق العمل للمكتبيين (١٧) . وقد تتبعت مايرز اتجاهات عمل خريجي أقسام المكتبات ومجالات العمل المفتوحة لهم من خلال الوظائف المتاحة والمعلن عنها فدرست التوزيع الجغرافي والموضوعي والنوعي للتعرف على ما إذا كان هناك أو سيكون هناك نقص في الأيدي العاملة في المكتبات ، أو إذا كان هناك عمالة زائدة تنزل إلى سوق عمل المكتبات ، وإذا كان كذلك فما الممكن أو اللازم عمله تجاه ذلك . واعتمدت الباحثة في دراستها ، التي تهم طلاب وخريجي أقسام المكتبات والمعلومات وأرباب العمل والمهتمين بشئون تعليم المكتبات والمؤسسات الحكومية ذات العلاقة ، على إحصاءات لعقدين من الزمن تبدأ من منتصف الستينات إلى منتصف الثمانينات ، وذلك لتوضح هذه الاتجاهات في الولايات المتحدة الأمريكية .

دراسة أخرى نشرت عام ١٩٨٦م أخذت على عاتقها بيان الحالة الوظيفية والتوجهات لطلبة الدبلوم والمتخرجين من قسم دراسات المكتبات والمعلومات في جامعة دبلن قام بها جون دين Dean (١٨) . فقد قام بتوزيع استبانة في ربيع عام ١٩٨٥م فوجد أن الأغلبية العظمى تعمل في مكتبات مؤسسية و٥٪ فقط تعمل في أعمال أخرى غير مجال المكتبات . كما وجد أن الذين يعملون في المكتبات يجدون صعوبة في الترقية الوظيفية أكثر من غيرهم . وقد كانت هذه الدراسة عبارة عن دراسة استكشافية لمرحلة قادمة في هذا الاتجاه .

وفي نيجيريا نشر بوزيمو Bozimo في ١٩٨٧م دراسة قامت بتحليل إعلانات الصحف للتعرف على المؤسسات التي تقوم بتوظيف حملة البكالوريوس في حقل المكتبات والمعلومات في نيجيريا والمهارات المطلوبة والمهام أو الوظائف المراد القيام بها (١٩) . كما أخذت الدراسة على عاتقها معرفة آراء المكتبيين الممارسين في برامج البكالوريوس في المكتبات والمعلومات وما تنتجه من خريجين . وفي نهاية الورقة نظر الباحث في علاقة هذه النتائج وتأثيراتها على تعليم المكتبات في البلاد . والدراسة الحالية تشترك مع دراسة بوزيمو في أنهما أخذتا إنتاج مدارس تقدم برامج بكالوريوس في الغالب في بلد نام وحاولتا التعرف على التوظيف من وجهات نظر مختلفة ميزت كل دراسة عن الأخرى وبمنهج مختلف أيضًا .

وتحليل الإعلانات للتعرف على سوق العمل وشئون التوظيف في المكتبات والمعلومات مجال دخله الكثير من الباحثين وأجروا فيه الدراسات المختلفة . ففي كندا مثلاً قام هاريس وريد بالتعرف على سوق العمل للعاملين في حقل المعلومات في كندا في الثمانينات من خلال إعلانات الوظائف المتاحة (٢٠) . وقد زاد الباحثان على ذلك في أن حاولا التعرف على ما إذا كان إقبال الطلاب على بعض المواد في برامج الدراسة (دراسات عليا) يقابل الاتجاهات المطلوبة في هذه الإعلانات أم لا . وقد بينت نتائج الدراسة تنوعًا وتطورًا في نوعية الوظائف التي أصبحت متاحة ويتم فتحها للمكتبيين والعاملين في حقل المعلومات، وذلك نتيجة للتطورات في هذا الحقل .

وفي كندا أيضًا نشر جاك ديفي Duffy وبوريس ريموند Raymond وريتشادر أبو ستل Apostle في ١٩٨٩ دراسة لاستكشاف الطرق التي يستخدم فيها أرباب العمل الكنديون مصطلح المعلومات في الإعلانات للوظائف، مما سهل عليهم تطوير تصنيف للوظائف المتعلقة بمجال المعلومات (٢١) . وقد بحثت هذه الدراسة في علاقات عدة مثل هذه الوظائف والنجاح في شغلها ومعرفة المتقدمين بالحاسبات والخبرة السابقة التي يطلبها أصحاب العمل . وقد أبرزت نتائج الدراسة أن هناك علاقة مؤثرة لهذين المتغيرين وأن حملة الماجستير في المكتبات والمعلومات لم يتم تعيينهم في العموم في الوظائف المعلوماتية المتوقعة لهم .

واستخدام إعلانات الوظائف كمؤشرات للمتغيرات في عالم المعلومات كان محور دراسة أخرى نشرت في يونية ١٩٨٩م في كندا أيضًا (٢٢) . فلقد قامت كاميلي كوت

Cote بدراسة التغييرات التي حصلت في المكتبات والمعلومات خلال العقدين الماضيين من خلال إعلانات التوظيف التي تم توزيعها أو الإعلان عنها في مدرسة مكجيل لدراسات المكتبات والمعلومات في كندا خلال عام كامل . وقد حاولت الدراسة التعرف على نوعيات الوظائف المتاحة في عالم المكتبات والمعلومات والمهارات المطلوبة لشغلها . وقد بينت الدراسة التطور والتوجه نحو استخدام التقنيات الحديثة مثل الحاسبات والفنون الإدارية في المكتبات من خلال طلب أصحاب العمل هذه المهارات في الراغبين للتقدم لمثل هذه الوظائف .

وقد عاد ريتشارد أبو ستيل Apostle وبوريس ريموند Raymond ونشرا دراسة في ١٩٩٠ توضح الفرص الوظيفية لحديثي التخرج من مدارس المكتبات والمعلومات الكندية خارج عالم المكتبات [٢٣] . وقد دلت نتائج هذه الدراسة على أن أقل من ١٥٪ فقط من هؤلاء الخريجين حصلوا على وظائف كاملة ودائمة خارج عالم المكتبات .

أما على مستوى الدراسات التي اتجهت نحو التخصص قليلاً بدلاً من دراسات التوظيف وسوق العمل في المكتبات ومراكز المعلومات عمومًا ، فإن هناك بعض الأمثلة المتفرقة مثل دراسة هارينجتون Harrington التي تناولت الزيادة والنقصان في توفير القوى العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات وأسباب ذلك مع إعطاء أهمية للأسباب وراء النقص في توافر المكتبيين العاملين في الإجراءات الفنية [٢٤] . حيث تركز الدراسة وتبين صعوبة توافر المكتبيين المتخصصين والمتمرسين في العلم في أقسام الدوريات والمسلسلات، وقد يكون للتغيرات الإدارية والتطورات في هذه الأقسام دور في ذلك .

وفي دراسة أخرى أكثر عمومية نشرت في خريف العام نفسه قارن ديفيد ريسر Reser وأنيتا شونمان Schuneman بين وظائف المكتبيين العاملين في أقسام الإجراءات الفنية والخدمات العامة في المكتبات الأكاديمية الأمريكية من خلال تحليلهم لمحتوى أكثر من ١١٣٣ إعلان وظيفة نشرتها أكثر من ٤٨٠ هيئة في عام ١٩٨٨م [٢٥] .

وقد حاولت الدراسة المقارنة من خلال التعرف على مستوى المهارة المطلوبة في الحاسبات واللغات الأجنبية والخبرات السابقة والشهادات العلمية والرواتب المقدمة للمتقدمين لهذه الوظائف في هذين القسمين الرئيسين من أقسام المكتبة . وقد تبين أن أقسام الإجراءات الفنية تطلب المعرفة بالحاسبات وخبرة عملية سابقة ومهارات لغوية أخرى أكثر منها في قسم الخدمات العامة . فيما بينت النتائج أن المتقدمين لوظائف الخدمات العامة يطلب منهم الحصول على شهادات علمية عالية ، فيما تساووا جميعًا في مسألة أقل الرواتب المتاحة .

وفي تحليل آخر لإعلانات الوظائف قام ديتلفسن Detlefsen بالتركيز على مكتبات البحث ومعرفة مختلف الاختصاصات المهنية التي يتم طلبها من خلال هذه الإعلانات [٢٦] . وقد أوضحت الدراسة هذه الوظائف ومسمياتها ومراتبها والمهارات أو الشروط المطلوب توافرها في الراغبين شغلها . كما حاولت التعرف على الفروق بين أثر تعيين المهنيين الحاصلين على شهادات عليا في التخصص وغيرهم .

وفي دراسة لإعلانات التوظيف أيضًا قام فريق بحث يقوده عميد مدرسة المكتبات والمعلومات بجامعة إنديانا - بلونجتون بليز كروني Cronin بتحليل محتوى إعلانات الوظائف وجمع ردود خريجي مدارس المكتبات والمعلومات على استبانات وزعت عليهم إضافة إلى نتائج المقابلات الشخصية التي أجريت مع اختصاصيي المعلومات ، وذلك بهدف التعرف على سوق العمل المتاح لهؤلاء المهنيين والفرص الوظيفية المتوافرة إضافة للاحتياجات التعليمية التي تقابل ذلك [٢٧] . وقد جاءت هذه الدراسة من جانب خبراء في مدارس المكتبات والمعلومات للتعرف على احتياجات السوق وقدراته حتى يتم عمل الاستراتيجيات الملائمة لمواجهة تطورات هذا السوق وتفاعلاته المختلفة، حتى تضمن هذه المدارس استمراريتها وخدمة مجتمعاتها بقوة .

أما حالة التوظيف وسوق العمل في المكتبات والمعلومات في التسعينات والعوامل الاقتصادية والمهارية والنفسية والشخصية المؤثرة في ذلك فكان مجال دراسة

نشرت عام ١٩٩٣م (٢٨) . وقد بينت الدراسة أهمية امتلاك المتقدمين للوظائف للمهارات الحديثة في مجال تقنية المعلومات ، كما ناقشت عقبات الحصول على الوظائف مثل الطموحات في رواتب عالية وحركة التنقل للأعمال الأخرى. وهذه الدراسة عامة في شكلها تعرضت للمشكلات والعقبات التي تعترض سبل الحصول على الوظائف في عالم المكتبات والمعلومات في هذا العصر المتطور الذي يشهد نهضة معلوماتية متعددة الجوانب أثرت بدون شك على نوعيات الوظائف المطلوبة وتوصيفها .

ومن الدراسات الأخرى التي نشرت في التسعينات والتي تعالج أحد جوانب التوظيف وسوق العمل في المكتبات والمعلومات كانت تلك الدراسة التي نظرت في طبيعة سوق العمل بالنسبة لخريجي مدرسة المكتبات والمعلومات في غانا (٢٩) . وقد وجدت الدراسة أن أغلب العاملين في هذا الحقل هم من الرجال وأن البطالة بدأت تدب فيه مما يعني عدم توافر الوظائف للمتخصصين، وهذا يدعو لإعادة النظر في الأعداد المنتظر طلبها من هؤلاء المتخصصين . كما يدعو ذلك للتفكير في المناهج وطبيعة المواد التي تقدمها مدارس المكتبات والمعلومات ومراجعتها حتى تتواءم ومتطلبات السوق.

وفي دراسة مختلفة في طبيعتها أورد بون Boon وبريتز Britz حقائق عن حجم العمالة في حقل المعلومات في جنوب أفريقيا حتى نهاية الثمانينات كمدخل يصف قطاع المعلومات في البلاد (٣٠) . وقد حاولا معرفة أعداد العاملين في مجال المعلومات في البلاد باستخدام عدة طرق أشارت إحداها إلى أن أكثر من مليوني فرد كانوا على رأس العمل في وظائف مختلفة لها علاقة بالمعلومات حتى نهاية الثمانينات . وبطريقة حساب أخرى وبعد استبعاد متغير الأجيال والمستفيدين أو المستخدمين للمعلومات ؛ فإنه يتبين أن الذين يعملون في حقل المعلومات في جنوب إفريقيا في تلك الفترة قد بلغ عددهم ٤٠٠٠٠٠ . وقد قام الباحثان بمقارنات اقتصادية توضح إسهام قطاع المعلومات في نمو الاقتصاد الوطني للدولة . وفي الجانب الأخير بين الباحثان حجم القوى العاملة في المعلومات بالمقارنة بنهج القوى العاملة عمومًا في الدولة .

والبعد الأهم لهذه الدراسة هو تركيزها على جوانب تتعلق باقتصاديات التوظيف وتوزيع القوى العاملة أكثر منها أنها تناقش سوق الوظائف للمكتبات والمعلومات . ولأنها تضفي بعدًا آخر على هذه المراجعة للأدب المنشور في هذا المجال تم عرضها .

لقد تنوعت الدراسات وتعددت في تغطيتها لموضوع التوظيف والفرص الوظيفية وسوق العمل المتاح في حقل المكتبات والمعلومات . ومع هذا تظل الدراسة الحالية فريدة في تناولها حيث ركزت على اتجاهات خريجي مدارس المكتبات والمعلومات والأسباب التي تدعوهم لذلك حتى وإن عملوا خارج قطاع المكتبات والمعلومات .

أما دراسات الرضا الوظيفي في المكتبات ومراكز المعلومات فهي من الدراسات المهمة جداً، وسنعرض هنا مثالاً لأهم هذه الدراسات العربية . فلقد قام فؤاد فرسوني بنشر بحثه عن الرضا الوظيفي ومفاهيمه وأهم النظريات المطبقة فيه وأهمية دراسات الرضا الوظيفي في المكتبات (٣١) .

وقد استعرض فؤاد فرسوني في دراسته هذه العديد من النماذج في بلدان كثيرة مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا وأخيراً البلدان العربية . وقد عرض الفرسوني لدراسة عبدالرزاق يونس التطبيقية على طلبة دبلوم المكتبات والتوثيق في الجامعة الأردنية (٣٢) . التي بينت أن السبب وراء اختيار المهنة والرضا عنها هو الرغبة في الحصول على مؤهل عالٍ يساعد في الحصول على وظيفة براتب عالٍ أيضًا .

كما عرض الفرسوني دراسة نجيب الشوربجي التي أجراها عام ١٩٨٣م التي حاولت معرفة الأسباب للدراسة والعمل في مجال المكتبات (٣٣) . وقد بينت دراسة الشوربجي أن توفير الفرصة لزيادة الثقافة العامة والإيمان بقيمة الكتب والمعلومات والرغبة في مساعدة الناس معلوماتيًا والانجذاب الشديد للكتب هي الأسباب الأولى ومن ثم يأتي بعدها عدم التمكن من دراسة تخصص آخر أو وجود خبرة سيئة في عمل سابق أو توافر فرص السفر أو حتى عدم توافر فرص أفضل للعمل في مكان آخر

كأسباب دعتهم لهذا التوجه (٣٤) . ولعل الخلط في فهم هذا التخصص وأبعاده تتضح في الأسباب المعطاة لهذه التوجهات ، فما الرابط بين حب الثقافة واستخدام المكتبات والإيمان بقيمة الكتب وزيادة الثقافة العامة وبين هذا التخصص بشكل يميزه عن التخصصات العلمية الأخرى . إن كل طالب علم وكل دارس في المرحلة الجامعية يحتاج للاطلاع وارتياد مكتبة الجامعة واستخدامها ولا يقتصر ذلك على طلاب قسم المكتبات فقط .

وقد قام الشوربجي بنشر دراسة حول أسباب اختيار الطلبة الأردنين لتخصص المكتبات والتوثيق والمعلومات عام ١٩٨٤م (٣٥) . وقد حاول الباحث معرفة الأسباب التي دعت الطلاب للتخصص في هذه المهنة . وقد اتحدت الأسباب في إيمان الأفراد بالمهنة والثقافة وتنمية المعارف ويقال في هذا الموضع ما قيل في الفقرة السابقة من عدم فهم لمعنى الثقافة ومواطن الاستفادة منها ومن يتصدى لها . كما بينت الدراسة أن الفتيات كن الغالبية ممن اختاروا هذه المهنة .

ولعل دراسات الشوربجي ويونس لا تتفق مع الدراسة الحالية في أنها تركز على أسباب الدخول لهذا التخصص، في حين أن الدراسة الحالية هدفها الرئيس هو دراسة التوجه الوظيفي ولا تضع في حسبانها أن المؤهل في هذا التخصص سيتجه حتمًا للعمل في مجال المكتبات والمعلومات . وفي جانب آخر تتفق هذه الدراسة مع تلك الدراسات في أنها تتطرق سريعًا للرضا الوظيفي . فالدراسة الحالية تتناول هذا الموضوع في سؤال واحد ولا تضعه ضمن أهدافها الرئيسة وإنما هدفًا مساعدًا تعرض ردود المبحوثين عن سؤال يتعلق بمدى رضاهم عن وظائفهم التي يشغلونها من الناحية المادية والناحية الاجتماعية والناحية الوظيفية .

والدراسة التي لها علاقة أقوى من الدراسات السابقة هي دراسة هانئة جار الله التي تناولت الرضا والاستقرار الوظيفي في المكتبات الأردنية وخاصة في مكتبة الجامعة الأردنية وقامت بنشر دراستها عام ١٩٨٣م (٣٦) . وقد حاولت الباحثة التعرف على أسباب عدم الاستقرار الوظيفي في هذه المهنة من حيث ثبات المكتبيين في المكتبة نفسها أو تركهم العمل في مجال المكتبات وتحولهم لوظائف أخرى لا تمت للمكتبات بصلة . وقد توصلت الدراسة لنتائج أبرزها غياب التقدير الوظيفي الذي يلائم الأعباء الكثيرة للمهنة وغياب الحوافز التشجيعية التي توصي الباحثة بالاهتمام بها بشكلها المادي والمعنوي على السواء مما سينعكس بشكل إيجابي على الموظفين ونظرتهم لأعمالهم والدور الذي يقومون به . وفي ختام هذه الإطلالة على موضوع الرضا الوظيفي نذكر أن سالم السالم تناول في دراسة نشرت حديثًا موضوع الرضا الوظيفي في المكتبات الجامعية السعودية . والباحث في هذه الدراسة لا يود التعمق في هذا الموضوع لأنه يشكل جانبًا رئيسًا من جوانب الدراسة الحالية .

ثالثًا - التحليل والنتائج :

٣ / ١ تقديم :

قام الباحث بتوزيع ثلاث استبانات مختلفة على شرائح الدراسة . كانت أولى هذه الاستبانات هي الاستبانة الرئيسة التي تم توزيعها على المؤهلين بدرجة علمية معترف بها في حقل المكتبات والمعلومات . وقد تم توزيع ٢٧٠ استبانة قبل ٢٥٩ منهم الإجابة عن هذه الاستبانة وإرجاعها بعد تعبئتها . وبعد التدقيق في هذه الاستبانات تبين عدم صلاحية ٣٤ منها للتحليل واستخراج النتائج . وبعد ترميز البيانات تم إدخالها للحاسب الآلي واستخراج النتائج عبر استخدام البرنامج الإحصائي SAS وتم الحصول على نتائج الإحصاء الوصفي نتائج اختبارات مربع كاي لبعض المتغيرات .

أما الاستبانة الثانية فتم توزيعها على مجموعات من طلاب المرحلة النهائية في قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبدالعزيز بلغ عددهم ١٧٠ طالبًا، وذلك لمعرفة توجهاتهم الوظيفية وهم في هذه المرحلة . وقد تم استخراج بيانات إحصائية وصفية تمثل آراء هذه الشريحة وتوجهاتها . ثالث الاستبانات وآخرها تم توزيعه على ٦٤ طالبًا يمثلون مجموعتين من الطلاب المتقدمين للالتحاق بقسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبدالعزيز

بجدة . وقد كان الهدف من توزيع هذه الاستبانة هو استكمال الصورة لهذه التوجهات من خلال معرفة توجهات أولئك الذين ينوون التخصص في علم المكتبات والمعلومات والحصول على مؤهل علمي في هذا التخصص إضافة لمن حصلوا على الشهادة العلمية بالفعل وانخرطوا في العمل، وأولئك الذين على وشك الحصول على هذا المؤهل العلمي .

ويرى الباحث أولاً عرض النتائج المستقاة من استبانة الدراسة الرئيسة التي وجهت لمن يحملون مؤهلاً علمياً في تخصص المكتبات والمعلومات وسيتم عرض النتائج المستقاة من الاستبانتين الأخريين في ختام هذا العرض كخاتمة سريعة تبين توجهات الطلاب المتقدمين للقسم أو الذين على وشك التخرج منه .

٣ / ب - *تحليل نتائج عينة الدراسة الرئيسة :*

من الأفضل قبل الدخول في تحليل الإجابات المعطاة رداً على أسئلة الاستبانة القصيرة التي وجهت إلى أفراد عينة الدراسة الرئيسة أن يتم تقديم بيانات وصفية سريعة تبين بعض خصائص هذه العينة وتوزيعها الجغرافي بين مدن المملكة ومناطقها .

فلقد تم سؤال كل مفردة من مفردات العينة عن مكان العمل والوظيفة الحالية التي تشغلها، وهل يعد تلك الوظيفة في مجال المكتبات والمعلومات أم لا ؟ ، وما إذا كان قد خطط للوظيفة التي يشغلها منذ أيام الدراسة أم لا ؟ .

وجاءت الإجابات لتوضح توزيع أفراد هذه العينة على (٢٤) أربع وعشرين مدينة ومحافظة من محافظات ومدن المملكة . وقد جاءت مدينة جدة على رأس القائمة كما هو متوقع ، حيث كانت نسبة ٤٩,٨٪ من المشاركين في هذه الدراسة يعملون في مدينة جدة . وتأتي مدينة مكة المكرمة (١٤,٢٪) في المركز الثاني ثم مدينة الطائف (١١,١٪) فالمدينة المنورة (٣,١٪) .

أما بالنسبة لتوزيع الوظائف التي يشغلها أفراد هذه العينة ، فقد تم تجميعها في ثلاث فئات رئيسة وهي العمل في المكتبات ومراكز المعلومات وكان عدد الذين ينتمون لهذه الفئة من أفراد العينة هم ٦٥ فرداً بلغت نسبتهم ٢٨,٩٪ من أفراد العينة ، أما العاملون في مجال التدريس فكانوا هم الفئة الغالبة وذلك بنسبة ٦٢,٧٪ أو ١٤١ فرداً ، وجاءت آخر الفئات لتشمل أولئك الذين حصلوا على مؤهل علمي في المكتبات والمعلومات واختاروا العمل في مجالات أخرى غير المكتبات ومراكز المعلومات أو خارج مجال التدريس . وقد جاءت نسبة هؤلاء الذين تمت تسميتهم بغير المكتبيين كما يوضح ذلك الجدول رقم (٢) كأقل الفئات الثلاث عدداً (١٩ فرداً أو نسبة ٨,٤٪ فقط من أفراد العينة) .

الجدول رقم (٢)

التوزيع الوظيفي للمشاركين

الوظيفة	التكرار	النسبة
- يعمل في المكتبات ومراكز المعلومات	٦٥	٢٨,٩٪
- يعمل خارج المكتبات ومراكز المعلومات	١٩	٨,٤٪
- يعمل في حقل التدريس	١٤١	٦٢,٧٪

وعند سؤال أفراد العينة عما إذا كانوا يصنفون وظيفتهم الحالية على أنها عمل في مجال المكتبات والمعلومات أو خارج ، أجاب ١٨٠ أو ٨٠٪ من المشاركين في هذا الجانب من الدراسة بأنهم يعدّون وظائفهم الحالية في مجال المكتبات والمعلومات . وهذا يعني أن ١١٥ من المدرسين يرون في عملهم أنه خدمة في مجال المكتبات والمعلومات . في حين يختلف ٢٦ فقط من المدرسين مع هذه النظرة ويرون أنهم يعملون خارج مهنة المكتبات والمعلومات .

وعند سؤال المشاركين في الدراسة عما إذا كانوا قد خططوا لوظائفهم التي يشغلونها منذ أن كانوا يدرسون أم لا ، فتبين أن نسبة (٤٧,٦٪) منهم قد خططوا للانخراط بوظائفهم الحالية منذ أيام الدراسة ، فيما لم يخطط ما نسبته ٥٢,٤٪ من مجموع أفراد العينة لهذه الوظائف من قبل .

وقد حاولت الدراسة معرفة الأسباب وراء التخطيط للوظيفة والقبول بها لمن كانوا يخططون لوظائفهم ، والأسباب وراء قبول الوظائف الحالية لمن يشغلون وظائف لم يخططوا لها من أيام الدراسة . والجدول رقم (٣)

يوضح الأسباب التي دعت أولئك الذين لم يخططوا من قبل لوظائفهم التي يشغلونها حالياً لقبولهم هذه الوظائف .

وقد حاول الباحث التعرف بشكل أكبر على الأسباب العائلية والمالية والصحية وعدم توافر وظائف أخرى، وذلك لأن الباحث يرى أن هذه هي أكثر الأسباب التي تشكل دعائم اتخاذ القرار الوظيفي لدى الخريج الباحث عن الوظيفة ، ومع هذا فالمجال كان متاحًا لأية إجابة في آخر فقرات هذا السؤال عبر الفقرة المفتوحة والمعنونة بأسباب أخرى .

الجدول رقم (٣)

أسباب اختيار الوظيفة لمن لم يخطط لها مسبقاً

السبب	التكرار	الثقل النسبي
– أسباب عائلية	١٦	١١,٤٪
– أسباب مالية	٣٣	٢٣,٦٪
– أسباب صحية	صفر	صفر
– لم أجد وظيفة أخرى	٦٢	٤٤,٣٪
– أخرى	٢٩	٢٠,٧٪
المجموع	١٤٠	١٠٠٪

ومن الجدول السابق يتضح أن توافر الوظيفة التي يشغلونها في تلك الفترة وعدم وجود أية وظيفة أخرى متاحة لهم هو الدافع الأول وراء اتخاذ القرار بقبول الوظيفة الحالية ، حيث ذكر ٤٤,٣٪ منهم أنهم لم يجدوا أية وظيفة أخرى في تلك الفترة، ولذلك قبلوا بالوظيفة الحالية التي لم يكونوا يخططوا لها . أما الأسباب المالية فجاءت في المركز الثاني كدافع لقبول الوظيفة الحالية لهذه الفئة من المشاركين في الدراسة بنسبة ٢٣,٦٪ ، ولم يكن للأسباب الصحية أي دور في اتخاذهم لقرار قبول الوظيفة. أما الأسباب الأخرى التي أوردها المشاركون والتي شكلت ثقلاً لا بأس به من ضمن الإجابات المعطاة فقد دارت حول أسباب مثل الرغبة في إكمال الدراسات العليا ولذلك قبل الموظف بوظيفته الحالية . كما أورد المشاركون أسباب أخرى مثل توافق الإجازات مع أفراد العائلة مثل الأبناء والزوجة أو أن الراحة الوظيفية من خلال أوقات دوام معروفة وفيها بعض المرونة هو الدافع لهذا الاختيار الوظيفي . أخيرًا ذكر قلة من المشاركين أن قبول الناس لمركز ونوع الوظيفة التي يشغلونها هو أكبر الدوافع، حيث يشعر أفراد هذه الفئة أن العمل في مجال المكتبات لا يحظى باحترام الناس إلى هذه اللحظة . ولقد كان الهدف الأساس من طرح تساؤل بخصوص الدوافع الخاصة بقبول الوظيفة الحالية هو التعرف على هذه الدوافع والأسباب عند أولئك الذين لم يخططوا لوظائفهم التي يشغلونها .

أما عند سؤال أولئك الذين خططوا لوظائفهم الحالية منذ أيام الدراسة عن الأسباب التي جعلتهم يخططون لهذه الوظائف بالتحديد ، فإن الإجابات المعطاة في الجدول رقم (٤) توضح بجلاء أن معظم الذين خططوا لوظائفهم منذ أيام الدراسة ، أو ما نسبته ٣٩,٥٪ من أفراد العينة المشاركة في هذا الجانب من الدراسة ، يرون أن الرغبة في العمل في مجال المكتبات والمعلومات هي الدافع الأكبر وراء هذا الاختيار بالتحديد . أما الأسباب الأخرى التي بيّنها المشاركون فهي السبب المالي، وجاء ذلك في رأي ١٣,٧٪ من الذين أجابوا عن هذه الفقرة من الاستبانة .

الجدول رقم (٤)

دوافع الرغبة في الوظيفة الحالية

السبب	التكرار	الثقل النسبي
– أسباب عائلية	٢	١,٧٪
– أسباب مالية	١٦	١٣,٧٪
– أسباب صحية	١	٠,٨٪
– الرغبة في العمل في مجال المكتبات والمعلومات	٨٩	٧٦,١٪
– أسباب أخرى	٩	٧,٧٪
المجموع	١١٧	١٠٠٪

ولعل قبول سبب الرغبة في العمل في مجال المكتبات والمعلومات كدافع رئيس لاختيار الوظيفة الحالية يستلزم معرفة ما تم إيضاحه من قبل من أن ١٨٠ فردًا من أفراد العينة أو (٨٠٪) منهم يشعرون أن وظائفهم في مجال

المكتبات والمعلومات، وهذا يعني أن ٢٦ مدرسًا فقط من الـ ١٤١ مدرسًا المشاركين في هذا البحث يرون أنهم يعملون خارج مجال المكتبات والمعلومات . فتعدد المدرسين الذين يرون في الإجمال أن وظيفتهم في التدريس هي عمل في مجال المهنة التي درسوها أي في تخصص المكتبات هو ١١٥ مدرسًا . إضافة لذلك فالأسباب وراء اختيار الوظيفة وقبولها أو حتى التخطيط لها، التي قد تكون أسبابًا خفية في هذه المرحلة من الدراسة ، توضحها إجابات المشاركين عند تبيانهم للأسباب التي جعلت نسبة كبيرة منهم تقول إنها تشعر بالرضا عن وظائفها الحالية وسيأتي دور مناقشة هذا لاحقًا .

وعند محاولة الباحث معرفة ما إذا كان هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين عينة الدراسة ونوع الوظيفة الحالية التي تشغلها عينة الدراسة والتخطيط لهذه الوظيفة ، فقد تبين بعد استخدام مربع كاي لاختبار العلاقات أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الوظيفة الحالية (مدرس ، مكتبي ، غير مكتبي) والتخطيط لهذه الوظيفة من قبل عند مستوى معنوية (٠.١) أو درجة ثقة ٩٠ بالمئة فقط ، وتنتفي هذا العلاقة القوية عند درجة ثقة ٩٥ بالمئة أو مستوى معنوي (٠.٠٥) وهذا ما تبينه قيمة مربع كاي (٥،٨٦٧ =χ ودرجة حرية ٢). وبهذا يمكن رفض فرض العدم Ho وقبول الفرض البديل Ha عند درجة ثقة ٩٥٪ والعكس عند ٩٠٪ .

أما العلاقات الأخرى التي بينتها اختبارات مربع كاي للعلاقات بين المتغير نوع الوظيفة الحالية والمتغيرات الأخرى في الدراسة عندما يكون استخدام الاختبار ممكنًا إحصائيًا ، فقد كانت هناك علاقة قوية جداً وذات دلالة إحصائية لا يمكن التشكيك بها بين الدافع المالي ونوع الوظيفة الحالية (لأولئك الذين لم يخططوا للوظائف) (٢٠.٠٢٥ =χ ودرجة حرية ٢) . أما أولئك الذين خططوا لوظائفهم المالية من قبل فقد كانت العلاقة الوحيدة التي أفرزتها اختبارات مربع كاي ، التي تم إجراؤها بين متغير نوع الوظيفة الحالية والدوافع المختلفة لقبول الوظيفة الحالية، فقد كانت هذه العلاقة بين الدافع أو الرغبة في العمل في مجال المكتبات والمعلومات ونوع الوظيفة الحالية، حيث كانت هناك علاقة قوية جداً وذات دلالة إحصائية لا تقبل الشك وبأعلى درجات الثقة (١٤.٣٨١ =χ ودرجة حرية ٢) . وهذا يعني أن الرغبة في العمل في مجال المكتبات والمعلومات كانت وراء اختيار العمل الحالي للذين خططوا له من قبل . وهنا لابد من التذكير ثانية أن الكثيرين من العاملين في حقل التدريس يرون أنفسهم أنهم يعملون في حقل المكتبات والمعلومات ما داموا يقومون بتدريس مادة المكتبة والبحث ويقومون بمهام إشرافية على مكتبات المدارس التي يعملون بها وهذا منطقي جداً . ولكن من المنطقي أيضًا التنبيه إلى أن عدداً كبيراً من المهنيين يبتعد عن العمل في المكتبات ومراكز المعلومات الأخرى نتيجة لهذا التوجه نحو العمل في وزارة المعارف .

وبعد سؤال المشاركين عن وظائفهم التي يشغلونها والدوافع وراء التوجه نحوها ، ثم توجيه سؤال مباشر لهم حول شعورهم بالرضا عن هذا العمل أو الوظيفة الحالية فكانت إجابتهم توضح شعوراً بالرضا لمعظمهم (٨٧،٦٪) . وعن السبب أو الأسباب التي أبداها المشاركون نحو شعورهم بالرضا عن وظائفهم التي يشغلونها جاء العائد المالي كأول هذه الأسباب ثم وجود مقر الوظيفة بين الأهل، فالدوام المريح كسبب ثالث للشعور بالرضا ، فالمركز الوظيفي الجيد ، وأخيراً أسباب أخرى متفرقة كما يوضح ذلك الجدول رقم (٥) .

الجدول رقم (٥)

أسباب الشعور بالرضا

السبب	التكرار	الثقل النسبي
– العائد المادي	١٠٧	٢٥،٤٪
– المركز الوظيفي الجيد	٩٦	٢٢،٨٪
– الوظيفة بين الأهل	١٠٢	٢٤،٢٪
– الدوام المريح	٩٨	٢٣،٣٪
– أسباب أخرى	٢٠	٤،٧٪

وبقصد الحصول على إجابة أكثر تحديداً من أولئك الذين يشعرون بأنهم يعملون في حقل المكتبات والمعلومات

فقط ، تم توجيه سؤال مباشر لهم عن شعورهم بالرضا عن الوظيفة التي يشغلونها من الناحية الاجتماعية والناحية المادية أو المالية والمركز الوظيفي فجاءت الإجابات كما هي موضحة في الجدول رقم (٦)

الجدول رقم (٦)

الرضا الاجتماعي ، والمالي ، والمركز الوظيفي للمكتبيين

السبب	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	المجموع
- الرضا اجتماعياً	١٤٩	٨٥،٦٣٪	٢٥	١٤،٣٧	١٧٤
- الرضا مالياً	١٣٨	٧٩،٣١٪	٣٦	٢٠،٦٩	١٧٤
- الرضا الوظيفي	١٤٠	٨٠،٥٪	٣٤	١٩،٥	١٧٤

فالجدول يوضح الشعور بالرضا القوي اجتماعياً ومالياً ومن ناحية المركز الوظيفي بين أفراد هذه الفئة نحو وظائفهم التي يشغلونها ، وذلك من خلال ارتفاع نسبة أفراد العينة الذين أجابوا بأنهم يشعرون بالرضا في كل الفقرات الثلاث. فنسبة الذين أجابوا بالرضا تصل وتتعدى الثمانين بالمئة في كل هذه الأسئلة . ولا مجال للمقارنة بين أولئك الذين أجابوا بأنهم يشعرون بالرضا عن وظائفهم من كل النواحي التي طرحت في الاستبانة وبين إجابات أولئك الذين صرحوا بعدم رضاهم عن الجوانب التي تم طرحها . فنسبة الذين أجابوا بالرضا لمن أجابوا بعدم الرضا تصل إلى ٤ إلى ١ في كل الحالات تقريباً ، مما يعني رضاً وظيفياً عالياً في الأوجه الثلاثة التي تم طرح السؤال عنها .

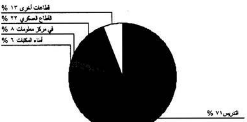
ولأن الدراسة الحالية لا تضع الرضا الوظيفي وقياسه هدفاً أساسياً لها ، فإنها تقف عند هذا الحد من التحليل الذي أكد شعوراً قوياً من الرضا اتفق فيه المكتبيون والمدرسون على اختلاف أعمالهم فقط . وعموماً فالدراسة الحالية بينت نتيجة للأرقام والنسب العالية رضاً وظيفياً بين أفراد العينة المبحوثة كانت له دوافع متنوعة لا يمكن الأخذ بأحدها وإغفال الدوافع الأخرى . كما بينت الدراسة قبل ذلك الأسباب التي دعت أفراد العينة إلى القبول بالوظائف التي يشغلونها سواءً خططوا لهذه الوظائف من قبل أم لم يخططوا . ولعل الأسباب التي أبداها هؤلاء كدوافع للرضا الوظيفي عموماً هي مؤشرات قوية أيضاً يمكن احتسابها من قبيل الدوافع التي جعلتهم يفكرون في هذه الوظائف بالتحديد حتى وإن لم يصرحوا بذلك عند سؤالهم حول الأسباب وراء التخطيط للوظيفة التي يشغلونها أو حتى القبول بها .

٣ / ج : تحليل نتائج عينة الطلبة الذين هم على وشك التخرج :

عند تحليل الاستبانة الثانية التي تم توزيعها على الطلاب المتوقع تخرجهم من أقسام المكتبات والمعلومات ، كان السؤال الرئيس الموجه لهم يدور حول التوجه الوظيفي بعد التخرج والدوافع وراء هذا التوجه . فمعرفة الجهة التي يرغب هذا الطالب ، الذي هو على وشك الالتحاق بسوق العمل ، في العمل بها أمر مهم يدعم الدراسة الحالية لمعرفة الاتجاهات الوظيفية لخريجي هذه الأقسام خاصة بعدما تعرفنا على اتجاهات أولئك الذين حصلوا على العمل بالفعل .

وقد أوضحت الدراسة اتجاهاً قوياً نحو الانخراط في العمل في حقل التدريس بعد التخرج حيث نجد ما نسبته ٧١،٢٪ من هذه العينة تنوي التوجه للعمل في التدريس . ثم يأتي القطاع العسكري ، كما يوضح الرسم البياني في الشكل رقم (١) ، في المرتبة الثانية ضمن هذه الاتجاهات وبنسبة ١٢،٩٤٪ ، والعمل في المكتبات ومراكز المعلومات ثالثاً وبنسبة ٨،٢٢٪ فقط ، وأخيراً الاتجاه للعمل في قطاعات أخرى (٧،٦٤٪) مثل الجمارك والخطوط السعودية وأرامكو والهيئة الملكية للجبيل وينبع والأعمال الحرة أو العمل في أي منصب إداري وإكمال الدراسات العليا .

الشكل رقم (١)



والقراءة السريعة لهذه النتائج تؤكد التوجه القوي نحو العمل في حقل التدريس وبشكل أكبر عن أولئك الذين هم على رأس العمل . فالنسبة زادت من الستينات إلى السبعينات وهذا بلا شك على حساب التخصصات الأخرى التي يأتي في مقدمتها قطاع المكتبات والمعلومات الذي انخفض التوجه للتوظيف فيه، وهذا سيؤثر بشكل أو بآخر على هذا القطاع الحي . أما القطاعات الأخرى الأكثر رواجًا بين هؤلاء المتوقع تخرجهم ، فلقد كان القطاع العسكري أكبر هذه القطاعات فيما استمر التنوع نفسه بين توجهات الخريجين وأولئك الذين على وشك التخرج .

أما الدوافع وراء هذه التوجهات بالنسبة لهؤلاء المتوقع تخرجهم فجاءت حسب الترتيب الموضح في الجدول رقم (٧) الذي بين أن الدافع المادي يأتي على رأس هذه الدوافع ثم الوضع الاجتماعي لتلك الوظيفة .

الجدول رقم (٧)

الدوافع وراء توجهات المتوقع تخرجهم

السبب	التكرار	الثقل النسبي
– الدافع المادي	١١١	٤٤,٠٤٧٪
– الراحة الوظيفية	٣٠	١١,٩٠٪
– الإجازات	٣٧	١٤,٦٧٢٪
– الوضع الاجتماعي	٦٨	٢٦,٩٨٪
– أسباب أخرى	٦	٢,٣٨٪

* هذه النسب المعطاة بناءً على العدد الكلي للمشاركين .

كما جاءت الإجازات التي يتمتع بها الموظف في الوظيفة المبتغاة كدافع مهم أيضًا ومحتلاً المركز الثالث بين هذه الدوافع . رابع هذه الدوافع التي أعطاها المبحوثون كدوافع لاختياراتهم الوظيفية هذه كان الراحة الوظيفية في تلك الوظائف .

٣ / د : تحليل نتائج عينة الطلبة الذين ينوون الالتحاق بتخصص المكتبات والمعلومات :

عند سؤال الطلاب الذين ينوون الالتحاق بقسم المكتبات والمعلومات عن الدافع وراء الانضمام للقسم والحصول على مؤهل أكاديمي في حقل المكتبات والمعلومات ، فإنه تبين أن التوجه نحو العمل في حقل التدريس يظل اتجاهًا مهمًا ولكنه ليس الاتجاه الأول. فالعينة التي أجابت عن سؤال الباحث في هذا الخصوص جاءت إجابتها لتبين أن العمل في المكتبات ومراكز المعلومات يأتي في المركز الأول بين هذه الاتجاهات (٥٠٪) . أما التدريس فقد جاء في المركز الثاني وبنسبة ٤٤٪ ، فيما جاءت أسباب أخرى مثل الحصول على شهادة جامعية في المركز الأخير بين هذه الأسباب .

والملاحظ أن هؤلاء الأربعة والستين طالبًا الذين تم سؤالهم هنا انقسموا بين العمل في مجال المكتبات والمعلومات وحاولوا تأكيد ذلك وبين العمل في التدريس، والباحث هنا لا يود التركيز على النتائج المعطاة عبر تحليل بيانات هذه العينة وذلك لصغر أفراد العينة وعدم إمكان التأكد من أنهم يعطون الإجابات الحقيقية في ظل رغبتهم الانخراط في القسم ومحاولتهم الإتيان بأسباب تدعم رغبتهم هذه . هذا بالرغم من أن الباحث قام بإرسال بعض الطلاب لسؤال هؤلاء المتقدمين وتأكيده على عدم كتابة أي اسم والتأكيد على أن هذه الإجابات لا دخل لها في قبولهم في القسم من عدمه وإنما هي دراسة مستقلة لها أهدافها التي لن تمسهم بأية حال من الأحوال .

وعلى أية حال ، فإن الباحث يورد هذه النتائج كتدعيم لما أورده من قبل عند عرضه لآراء من هم

على رأس العمل أو أولئك الذين على وشك الدخول لسوق العمل ، فجاءت هذه المحاولة لمعرفة توجهات أولئك الذين ينوون الحصول على مؤهل علمي في تخصص المكتبات والمعلومات فتكتمل بذلك الحلقة من كل جوانبها .

وبعد ما تبين أن الوظيفة الأكثر طلبًا للمتخصصين في حقل المكتبات والمعلومات في هذه المرحلة الزمنية هي التدريس في مدارس وزارة المعارف ، أو بتحديد أكبر تدريس مادة المكتبة والبحث في هذه المدارس ، فإن الباحث يرى استكمال الصورة المرسومة في هذا التوجه وتبيان الميزات التي يحصل عليها حامل بكالوريوس المكتبات والمعلومات عندما يلتحق بالعمل في وزارة المعارف وما هي المهام المتوقع منه القيام بها . فمن الناحية الوظيفية يتم قبول هؤلاء الخريجين للعمل في وزارة المعارف ويتم تعيين المؤهلين تربوياً منهم على المستوى الخامس وبراتب أساسي قدره ٦٠٩٠ ريالاً سعودياً وعلاوة سنوية قدرها ٣٨٠ ريالاً أما من لم يحصل على التأهيل التربوي فتتاح له الفرصة للحصول على دبلوم تربوي، ولكن يتم تعيينه على المستوى الرابع وراتب أساسي قدره ٥٧٢٠ ريالاً وذلك بحسبان أنه غير تربوي ولكنه يحصل أيضًا على علاوة سنوية قدرها ٣٨٠ ريالاً مثله مثل صاحب المستوى الخامس، كما يضاف لهم بدل انتقال قدره ٦٠٠ ريال (٣٧). أما المهام المتوقع منه القيام بها فهي المهام العامة نفسها المتوقع من أي مدرس القيام بها، ولكن بحكم تخصصه فهو يقوم بتدريس مادة المكتبة والبحث، والتي تم استحداثها في المدارس الثانوية بالمملكة العربية السعودية في العام الدراسي ١٤١٣هـ (٣٨)، وهذا إضافة للإشراف على المكتبة المدرسية التابعة لمدرسته .

وفي حالة توظيف خريج المكتبات والمعلومات في الوظائف الإدارية فإنه يتم تعيينه بالمرتبة السادسة ، حسب توافرها ، وبراتب أساسي وقدره ٣٨١٥ ريالاً سعودياً وعلاوة سنوية ٢٣٠ ريالاً إضافة لبدل انتقال قدره ٦٠٠ ريال سعودي (٣٩) . وبالنظر في الميزات المادية المعطاة في حالة التوظيف في وزارة المعارف ومقارنتها بالوظائف الإدارية يتضح الفارق في تلك الميزات المالية بشكل بارز يدعم ما قاله المبحوثون في شأن الرضا المالي بالتحديد .

٤ - النتائج :

يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية في الآتي :

١ - بالرغم من أن الهدف الأساس من إنشاء أقسام المكتبات والمعلومات بالجامعات السعودية هو إعداد وتأهيل الكفاءات الوطنية القادرة على العمل المهني في المكتبات ومراكز المعلومات ، إلا أن هذه الدراسة أثبتت أن الاتجاهات الوظيفية لدى خريجي هذه الأقسام والمنتمين لها وحتى القادمين إليها تبين أن التوجه نحو التدريس في مدارس وزارة المعارف يحتل المركز الأول كاختيار وظيفي لكل هذه الفئات، وذلك نظراً لاعتبارات مختلفة كان منها عدم توافر وظائف أخرى والارتياح المادي والاجتماعي والوظيفي الذي شعر به المنخرطون في سلك التدريس . كما أوضحت الدراسة بُعدًا عن العمل في المكتبات ومراكز المعلومات .

٢ - منحت وزارة المعارف بإقرارها مادة المكتبة والبحث في المرحلة الثانوية وقبول خريجي أقسام المكتبات والمعلومات لتدريسها بابًا جديدًا في سوق العمل لخريجي هذه الأقسام فأصبح من الضروري أخذه في الحسبان عند وضع المناهج وإقرارها . وأصبح هذا الجانب من سوق العمل لهؤلاء الخريجين يشكل عنصرًا رئيسًا في الأعمال المعروضة على كل من يتخرج من أقسام المكتبات والمعلومات السعودية وأثر بذلك على قاعدة العرض والطلب في السوق السعودية للعمل .

٣ - بالرغم من التطور الذي حصل في حقل المكتبات والمعلومات ودخول تطورات حديثة على هذا الحقل نتيجة لاستخدام التقنيات الحديثة من حاسبات واتصالات ونظم متطورة أدت بدورها

لتطور الخدمات التي تقدمها هذه المكتبات ومراكز المعلومات وتنوعها ، إلا أن الاتجاهات الوظيفية للخريجين حسب ما تبين نتائج هذه الدراسة لا تسير وفق ذلك من ناحية العمل في المكتبات ومراكز المعلومات . والشيء نفسه يمكن إطلاقه على التصنيف الوظيفي الذي يقوم به ديوان الخدمة المدنية عند معالجته لوظائف خريجي أقسام المكتبات والمعلومات ، فيفصل بين المكتبات ويضعها في إطارها التقليدي وبين المعلومات ويضعها ضمن الوظائف ذات العلاقة بالحاسبات وهذا قصور في فهم طبيعة التخصص وما يمكن أن يقدم من أفراد مؤهلين .

٤ – هناك شعور عام بالرضا عن الجو الوظيفي الذي يعمل به مجتمع الدراسة ظهر من خلال إجابات العينة الرئيسة في هذه الدراسة .

٥ / التوصيات :

توصي الدراسة الحالية بالآتي :

١ – ضرورة التخصص بين أقسام علوم المكتبات والمعلومات بالمملكة بحيث يتميز أحد هذه الأقسام بتلبية احتياجات وزارة المعارف من المؤهلين علميّاً وتربوياً . ولعل قسم المكتبات والمعلومات بجامعة أم القرى هو الأقرب حالياً للقيام بهذا الدور نظراً لتدريسه بعض المواد التربوية وتركيزه على تجهيز خريجين يعملون في المكتبات المدرسية . وهذه التوصية مقرونة بضرورة التنسيق مع وزارة المعارف تنسيقًا يرقى بمستوى الخريجين وأسلوب تدريس ومحتوى مادة المكتبة والبحث .

٢ – تطوير آلية تمكن الأقسام العلمية في الجامعات السعودية من إعادة النظر في مناهجها الدراسية التي تقدمها بصفة دورية وبشكل يبتعد عن الروتينية والتأخير، وذلك حتى تتمكن هذه الأقسام من التفاعل مع سوق العمل بشكل متميز لا يتنافى مع الأهداف الرئيسة لها .

٣ – ضرورة العمل المشترك فيما بين أقسام المكتبات والمعلومات والديوان العام للخدمة المدنية والمكتبات ومراكز المعلومات المستقبلة لخريجي هذه الأقسام على تشجيع هؤلاء الخريجين للانخراط في العمل في هذه المؤسسات، وذلك حتى لا تتسع الفجوة بين سعودة الوظائف في هذه المكتبات والمعلومات بكفاءات مؤهلة والوضع في الواقع نتيجة لهذه التوجهات الوظيفية التي بينتها الدراسة .

٤ – يرى الباحث جدوى تخصص الطلاب في آخر سنة لهم في أقسام المكتبات والمعلومات بحيث يتم تقسيمهم إلى فئات حسب توجهاتهم الوظيفية والاحتياجات العامة للدولة فيكون هناك تخصص رئيس اسمه المكتبات والمعلومات مثلاً بجانب التخصص الدقيق أو المباشر الذي يتم فيه التركيز على ما يحتاجه الطالب في الفترة القادمة بشكل مكثف . وبهذا يرى الباحث أن من يريد التوجه للعمل في المكتبات مثلاً ، فإنه سيقوم بالتركيز على المكتبات النوعية والخدمات العامة ويحصل على التدريب العملي في تلك المؤسسات . وهذا لن يتأتى إلا بالتنسيق بين الأقسام العلمية وجهات التوظيف حتى يتم التوجيه بشكل صحيح .

٥ – ضرورة الاستفادة من مفهوم التعليم التعاوني وتطبيقه من خلال ربط طلاب أقسام المكتبات والمعلومات في سنتهم النهائية مع سوق العمل المقترح، وذلك عن طريق تدريب هؤلاء الطلاب في المؤسسات التي تمثل سوق العمل المستقبلي لهم. ومن الضروري وضع آلية واضحة تضمن الفائدة للجانبين من مثل هذه التجربة . ومثل هذه الآلية لابد وأن تشمل دوام المتدرب وعمله في المؤسسة كموظف تحت التدريب ومحاسبته على الانضباط وأداء العمل ، وفي الوقت نفسه توفير بعض الحوافز التشجيعية له كالمكافأة الشهرية والمقطوعة

في مقابل الخدمة التي يقدمها لتلك المؤسسة . وقد يكون الفصل الصيفي أو فصل دراسي كامل أو سنة دراسية هو الأنسب ، كما تفعل جامعة الملك فهد للبترول والمعادن وبعض الجامعات الأمريكية في تخصصات أخرى ، فالقضية هنا هي ربط الطلاب بالحياة العملية وتكوين خبرة مباشرة لديهم وتعريف أرباب العمل بقدرات هؤلاء الطلاب وإمكاناتهم .

٦ - ضرورة إجراء الدراسات الأولية لمعرفة احتياجات القطاع الخاص من العمالة المؤهلة في هذا الفرع من العلوم، وذلك لتقوم أقسام المكتبات والمعلومات بتجهيز نفسها لمواجهة هذه المتطلبات . والتوصية هذه تزيد من قيمتها إذا عرفنا أن التوجه العام في المملكة العربية السعودية يسير نحو سعودة الوظائف وهو ما يعني إحلال السعوديين مكان العمالة الوافدة التي تشكل ٩٥٪ من حجم العمالة في القطاع الخاص ، حسب بيانات مجلس القوى العاملة ، وأن التوظيف في القطاع الحكومي سيقل تدريجياً وستخضع عملية الإقبال على هذه الأقسام لعملية العرض والطلب وحال سوق العمل .

الهوامش والمصادر

١ - Henderson, Carolyn J. "Personal and Employment : Recruitment and Selection," in The ALA Yearbook of Library and Information Services 85 Vol. 10 (1985) P 213 .

٢ - Asshoor, Saleh M. and Abdusattar Chandhary."Library and Information Science Education in Saudi Arabia" in the Education and Training of Information Professionals:Comparative and International Perspectives . Edited by G. E. Gormen .- London : Scarecraw Press. 1990, pp 141 -158.

٣ - سريع ، سريع محمد "تعليم المكتبات في المملكة العربية السعودية" مكتبة الإدارة ، مج١٣ ، ع١ (محرم ١٤٠٦هـ) ص ص ٥٩ - ٨١ .

٤ - طاشكندي أنس صالح . التأهيل المهني في مجال المكتبات بالمملكة العربية السعودية: دراسة مسحية (رسالة ماجستير) إشراف محمد أمين البنهاوي .- جدة : جامعة الملك عبدالعزيز ، ١٩٨٢م .- ص٢٠٣ .

٥ - الحلوجي، عبدالستار "الوضع الراهن لدراسة المكتبات في المملكة العربية السعودية" مكتبة الإدارة ، مج٧، ع٢ (صفر ١٤٠٠هـ) ص ص٣ - ٢١ .

٦ - Alseceihy, Hassan A, Continuing Library Education : Practives and Preferences of the University and Major Research Library personnel in Saudi Arabia With Special Emphasis on Technical Services Staff, (Ph. D. Dissertation) Bloomington, IN: Indiana University , 1993, p 212 .

٧ - السباعي، محمد مكي . الإعداد العلمي للمكتبيين في المملكة العربية السعودية . في اجتماع الخبراء في ميدان تكوين أخصائي المكتبات وعلوم الإعلام بالوطن العربي .- الرباط : مدرسة علوم الإعلام ، ١٩٩٣م، ٨٠ص .

٨ - عبدالهادي ، محمد فتحي وأسامة السيد محمود . دراسات في تعليم المكتبات والمعلومات .- القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٥م ، ٢٤٠ص .

٩ - طاشكندي ، عباس صالح " القوى البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات في

الملكة" عالم الكتب ، مج٦ ، ع٤ (ربيع الثاني ١٤٠٦هـ) ص ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

١٠- المصدر سابق .- ص٤٧٢ .

١١- الديوان العام للخدمة المدنية . دليل تصنيف الوظائف في الخدمة المدنية : الجزء الثاني : المجموعات العامة للوظائف : ٢ - ٧ المجموعة العامة للوظائف الثقافية والاجتماعية .- [الرياض] : الديوان ، ١٩٩٤م .- ص ص ١٧٩ - ٢٠٩ .

١٢- النملة ، علي إبراهيم "العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب" عالم الكتب ، مج٥ ، ع٣ (محرم ١٤٠٥هـ) .- ص ص٤٨٣ - ٤٩٢ .

١٣- طاشكندي ، عباس صالح . مصدر سابق .- ص ص ٤٦٦ - ٤٨٠ .

١٤- حبيب ، غازي محمود "بعض الخيارات الاستراتيجية للخريج الجامعي السعودي" الإدارة العامة ، ع٥٤ (شوال ١٤٠٧هـ) ، ص ص٣١ - ٦٣ .

١٥- الحارثي ، ساعد العرابي "ملاءمة تأهيل خريجي أقسام الإعلام في الجامعات السعودية لمتطلبات العمل في القطاعين : الحكومي والأهلي" ورقة عمل مقدمة لندوة واقع إدارات العلاقات العامة في الأجهزة الحكومية ، ١٩٩٢م .- ص ص١٨١ - ١٨٩ .

١٦- "حاجة سوق العمل السعودي إلى خريجي كلية العلوم الإدارية" مجلة الاقتصاد ، س٢١ ، ع٢٠٩ (ذو الحجة ١٤١٠هـ) ص ص٤٦ - ٤٧ .

١٧- Myers, Margret, "the Job for Librarians, "Library Trend 34, 4 , (Spring 1986)pp. 645 - 666.

١٨- Dean John "The Job Market for LIS Diplomats - a Pilot Study"The irish Library 392 (1986) pp. 35- 41 .

١٩- Bozimo, Doriso, "MILS Product and the Job - market in Nigeria : An analysis of job advertisement, "African journal of Academic Librarianship, 5 (1,2) (1987) pp. 27 - 40 - 45- 49 .

٢٠- Harries, Roma M. and K. Janne Reid "Career Dppor Yunities in Library and Information Science : and analysis of Canadian job advertisement in the 1980, s" Canadian Journal of Infrormation Science 13(112) (Sept. 1988) pp. 17 - 29.

٢١- Duffy, Jack, Boris Raymond, and Richard Apostle "Librarians Information, and The, nontraditional, job market," Canadian Journal of Information Science 14, 1 (March 1989) pp. 12 - 26 .

٢٢- Cote, Camille, "The Library job Market as seen hvom Quebec," Canadian Journal 46, 3 (June 1989) pp. 165 - 168.

٢٣- Apostle, Richard and Boris Raymond, "Library Graduates and the emerging infomation market in Canada, "Canadian Journal of Information Science 15, 1(April 1990) pp. 21 - 36.

٢٤- Harrington, Sue Anne, "Serial Specialists hard to find" Serials Librarian 21, 1991 . pp. 1 - 11.

٢٥- Beser, David and Anita P. Schwneman, "The Acaemic Library Job market : A content Analysis comparing pubic and technical services" **College & Research Libraries**, 53, 1 (Jan, 1992) pp. 49 - 59 .

٢٦- Detle Fsen, E. G., "Specialists as Professionals in reseach Libraries : an Overview of trends and an analysis of job announcements" **Library Trends** 41, 2 (Fall 1992) pp. 187 - 197 .

٢٧- Cronin, B, M. Stffler and D. Day, "the emergent Market for information professionals : educational cpportunitises and implication' **Library Trends** 42, 2 (Fall 1993) pp. 257 - 276 .

٢٨- Smith, J. "Jop Haunting in the 905," **A Slib Information** 21, 718 (July / August 1993) pp. 284 - 285 .

٢٩- Alemna, A. A., "Professional education and Subsequent Careers : a follow - up Study of former Student of the Department of Library and Archival Studies, University of Ghana, Legon" Education for Information 11, 1 (March 1993) pp. 53 - 63.

٣٠- Boon, J. A. and Britz J.J., "Size of the Information Sector In South Africa," South African **Journal of Library and Information Science**, 61, 3 (Sep. 1993) pp. 109 - 123.

٣١- فرسوني ، فؤاد حمد . "دراسة الرضى الوظيفي في المكتبات" مكتبة الإدارة ، مج١٤ ، ع١ (محرم ١٤٠٧هـ) ص ص٤١ - ٦٥ .

٣٢- Yornis, A., "Manpower Shortage and education for Librarianship in Jordan," **International Library Review** No. 14 - (1982) p. 424 .

٣٣- Al-Shorbaji, M., "Job Statisfaction : Survey and Measurement among Professional Librarians in Jordan (M. Lib. thesis) Aberyrstwyth : University of Wales, 1983 .

٣٤- فرسوني ، فؤاد حمد . المصدر السابق ، ص٥٦ .

٣٥- الشوربجي ، محمد . "دراسة حول أسباب اختيار الطلبة الأردنيين لتخصص المكتبات والتوثيق والمعلومات" ، رسالة المكتبة ، مج١٩، ع٤ (كانون الأول ١٩٨٤م) ص ص ٤٦ - ٥١ .

٣٦- جار الله هانئة "الاستقرار الوظيفي عند المكتبيين" رسالة المكتبة ، مج١٨ ، ع٢ ، ٣ (حزيران - أيلول ١٩٨٣م) ص ص ١٨ - ٢٠ .

٣٧- الديوان العام للخدمة المدنية . دليل الرواتب .- جدة : الديوان ، فرع المنطقة الغربية ، إدارة التصنيف ، ١٤٠٩هـ [١٩٨٩م] .- ص [٤] .

٣٨- تعميم خاص بمادة المكتبة والبحث للمرحلة الثانوية وقعه معالي وزير المعارف السعودي بتاريخ ١٤١٣/٤/١٥هـ .

٣٩- الديوان العام للخدمة المدنية . المصدر السابق.- ص١.

تصور العلوم بين المفهوم الغربي والإسلامي

لزكي أكر
كلية العلوم - قسم الفلك - جامعة الملك سعود

ترجمة
سهيل صابان
مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض

تقديم نشر هذا المقال في مجلة كوبري Kopru التركية (س١٣، ع٥٢، شتاء ١٩٩٦م). ص ص٩٩-١٠٦.

وقد اجتهد فيه الكاتب في إجراء نوع من المقارنة بين تصور العلوم لدى الغرب والعالم الإسلامي. واستخدم فيه أسلوب الاستنتاج والتحليل من خلال المصادر الغربية ومؤلفات بعض المفكرين المسلمين. وقد قدم معلومات جيدة، غير أنه لم يستند فيه إلى الآيات والأحاديث التي تعينه في فهم الموضوع واستيعابه بشكل أدق..

وفيما يلي ترجمة كاملة للمقال، الذي كان عنوانه الأصل: الإنسان - العلوم - الإسلام:

الإنسان متوسط بين حقيقتين اثنتين. الأولى: العالم المادي الذي يوجد فيه الإنسان بذاته وهو ما أطلق عليه رجال العلم بـ «العالم الفزيائي». الثاني العالم الخاص بكل إنسان، الذي يعيش فيه بأفكاره وأحاسيسه ومشاعره، وهو ما يمكن أن يطلق عليه العالم المعنوي. وهذان العالمان متأثران في بعضهما البعض مع أن الذي يتبادر إلى الذهن أنهما منفصلان وليس لأحدهما تأثير في الآخر. وأصرح دليل على ذلك ما نشاهده من تأثير حادث في الحياة الخارجية على الحياة الداخلية حتى ولو كان حادثًا بسيطًا. إذ إن ذلك الحادث إما يؤدي إلى الحزن أو إلى السرور؛ إما يخيف أو يفرح. بل إن الأمر قد يتعدى ذلك فيغيّر حياته الداخلية تغييراً جذرياً. ومن جانب آخر فإن آثار الحياة الداخلية تظهر على الحياة الخارجية ظهوراً ملموسًا؛ فتظهر في شكل جسور ومبانٍ وطرق.. ولعل اللوحات أو المجسمات الفنية خير دليل على ذلك.

غير أن معلومات الإنسان عن العالمين غير جاهزة، فالعالم الداخلي يتشكل بالتعلم، والعالم الخارجي مرتبط بهذا التشكل. والإنسان الذي توصل إلى فهم الحياة الخارجية يبدأ بمحاولة فهم موقعه ضمن المخلوقات. فهذا يؤدي به إلى طرح بعض أسئلة من مثل: ما الإنسان؟ وما الحياة؟ وهل هناك هدف من اتصال الإنسان ببعض الموجودات؟.. إلخ وهذه الأسئلة هي حلقة الوصل بين جميع الناس. ويقول أحد الباحثين (١): إن لكل إنسان نظرته الخاصة به إلى الحياة، فيُجيب من خلال تلك النظرة عن تلك الأسئلة المطروحة سواء عن شعور أم عن غير شعور.

إن معلومات الإنسان عن الحياة الخارجية ستبقى ناقصة مبتورة؛ بسبب اختلاف وجهات النظر إلى الكون والحياة. غير أن بعضًا من الباحثين الذين شعروا بعدم مواءمة الآراء المطروحة فيما يخص النظرة إلى الكون والحياة، قاموا بالبحث عن طرق الإنتاج العلمي السديد الموثق، مما أدى إلى ما يمكن أن نعرفه بنشوء الحركة العلمية المنظمة المتناسقة. ومع ذلك فإن مصطلح العلم مازال غير واضح بخصائصها المكونة له. وقد ذكر «فيرابند» أن التيار الذي يبحث في فلسفة العلم يشرح ماهيته وكيفية عمله بأشكال مختلفة، يضاف إلى ذلك أن هناك رأي رجال العلم والسياسيين ومختلف الأشخاص الذين يدّعون أنهم يتحدثون باسم المجتمع، وبناء على ذلك إذا كنا نقول «إن فلسفة العلوم ما زالت في تيه من الظلام فإننا نكون على صواب بدرجة كبيرة» (٢).

ولاشك أن عدم تعريف العلم بشيء من الدقة يجعلنا في مواجهة مختلف الاتجاهات العلمية . والعلم الذي نقصده هنا ليس العلمَ الذي يفهمه الإنسان العادي من كلمة العلم؛ وإنما الهدف الذي يسعى لأجله رجال العلم، وفهم الاستنتاجات أو نتائج العلوم وطريقة تطبيقها، بل وحتى القيم التي يوليها للعلم في إطار النظرة إلى الكون والإنسان والحياة . وقد ظهر من خلال البحوث التي أجريت في هذا الصدد أنه مع أن هوية العلم واحدة إلا أن فهم العلم يختلف من شخص لآخر، كما يختلف من بيئة لأخرى ومن زمن لآخر .

ولتوضيح مصطلح العلم وفهم موقف العالم الغربي المعاصر الذي نشأ بسبب الصراع الذي نشب منذ ثلاث مئة سنة إزاء هذا المصطلح، يجدر بنا أن نلم بتاريخ العلوم بشكل مختصر: فإن العالم الغربي يجعل نشأة تاريخ العلوم مع نشوء الحضارة اليونانية . فيذكر باحث أن العلم بمعناه الحقيقي يبدأ من نقطة محاولة فهم الكون وتوضيح النظريات . وهذه المحاولة لم تبدأ في مصر أو في حواضر ما بين النهرين .. وإنما كان ذلك أهم خصيصة للفكر اليوناني (٣). غير أن الباحث نفسه ذكر في كتابه ذاته أنه في حوالي عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد استخدم السومريون جدول الضرب وأنهم استعملوا حساب المساحات ووجدوا أن القيمة التقديرية π التي تستخدم لإيجاد محيط ومساحة الدائرة يساوي ٣,١٢٥ ، وأن البابليين أحرزوا فيما بعد تقدمًا كبيرًا في الرياضيات وعلم الفلك، كانوا يعرفون المربعات والمكعبات، وتوصلوا إلى حلول مسائل الرياضيات من الدرجة الثانية والثالثة، وأثبتوا أن جميع المثلثات نصف الدائرية قائمة الزاوية، بل إنهم اجتازوا ذلك إلى معرفة نظرية فيثاغورث التي اكتشفت فيما بعد، وأنهم حسبوا طول السنة من خلال النظريات الفلكية بوجه قريب من الحقيقة مع خطأ ٤,٥ دقيقة فقط في السنة، وأنهم استطاعوا معرفة خسوف القمر وأن هذا الخسوف نفسه يحدث في كل ثمانية عشر عامًا مرة واحدة ... إلخ . ومن جانب آخر فإن المصريين وإن لم يكونوا على المستوى نفسه إلا أنهم كانوا على إلمام جيد بالعلوم والمعارف . بل إنهم كانوا يتقدمون غيرهم في الطب . وهذا يدل على أنه كان هناك قبل الحضارة اليونانية علم الرياضيات والجبر وعلم الفلك والطب؛ غير أنه لم يكن هناك علم بمعناه الحقيقي . والذي حاول الباحث المذكور تفهيمه إيانا أنه كانت هناك علوم، غير أنه لم تكن ثمة فلسفة لها .

وإذا كان العلم نتج من خلال التفكير المنظم أو الملاحظة أو التجربة حسب المفهوم المعاصر، فإنه يمكن امتداد بدايات العلوم إلى الإنسان الأول . فعلى سبيل التمثيل إذا شاهد هذا الإنسان إشراق الشمس فإنه سوف يعرف غروبها مساءً، ويعرف كذلك طلوعها في اليوم التالي. فهذا علم فلكي حتى وإن كان أبسط نوع من العلوم. ويوضح علم التاريخ والحفريات والأنيروبولوجيا أن الإنسان الأول كان على معرفة بالكون وما يجري حوله من خلال التجربة . ولذلك فنستطيع القول إنه كان هناك علم ومعرفة مع نشأة الإنسان الأول .

ورغبة المفهوم الغربي للعلوم بجعل مبدئه من العهد اليوناني الأول تعدُّ طبيعية . لأن الوثائق الموجودة اليوم تستند على الفكر المادي الخالي من فكرة الألوهية، وبالتالي لا تعترف بما وراء ذلك . وبناءً على ذلك فأول عالم – حسب مفهومهم – هو «طالس الملَتِي» الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد . فهو يمثل التنقل من الفكر الديني إلى اللادينية . وقد جاء هذا العالم بفكرة الإثبات في علم الهندسة . وقد عدّ الكون مكونًا من الماء، وأن الدنيا تسبح على الماء مثل قطعة خشب .. وهذه الآراء التي أتى بها طالس قد تمت مناقشتها وتبديلها ثم تطويرها من قبل «أناكسيمندر» و «أناكسيمنس» (وهو أصغر من سابقه في العمر بعشرين سنة ومن طالس بأربعين سنة) . وكان الأخيران يعتقدان أن الأرض تقع في مركز الكون مثل الدائرة . غير أن أناكسيمندر كان يرى أن الكون يسبح في فضاء لا حدود له، وأنه تكوّن من مادة أطلق عليها «أبرون» Aperon وقد تصورها في شكل أربع حلقات متداخلة، وهذه الحلقات هي : ١- الحر (النار)، ٢- البرد (الهواء) ٣- البلل (الماء)، ٤- الجفاف (التراب) . أما أناكسيمنس فقد ردّ فكرة الأبدية لأنها غير محسوسة ولا مجربة .

وجعل أساس المادة الهواء والبخار . وهذا لب مبدأ مدرسة «إيونيا» التي أنشأها علماء من إيونيا، وهي مدرسة مادية، تخلو من أية فكرة للألوهية أو التدين ..

وقد تم إنشاء مدرسة أخرى من لدن فئة من العلماء – كان من بينهم «فيثاغورث» – الذين انتقلوا من إيجه إلى جنوب إيطاليا (في عام ٣٥٠ قبل الميلاد) بسبب الحروب الفارسية . وهذه المدرسة عكس سابقتها لم تكن مادية وإنما كانت عقلانية، قائمة على التصور الرياضي. وأتباع هذه المدرسة كانوا معجبين بالرياضيات وقواعدها التي لا تتغير . ولذلك كانوا يرون أن الأرقام ينبغي أن تكون أساس الكون . فعدّوا رقم الواحد نقطة، والاثنين مستقيمًا، والثلاثة مثلثًا، والأربعة هرمًا، بل ذهبوا إلى أن أساس كل شيء في الكون أرقام وبذلك فقد تصوروا عالمًا ميتافيزيقياً أساسه الأرقام وقواعده الرياضيات . فلما صرح فيثاغورث بـ «أن الكون كروية» (٤) لم يكن يقصد من ذلك تجاربه المتعلقة بالكون، بل كان في الحقيقة يتحدث عن مبدأ رياضي ..

وقد ظهرت هذا النظرية العقلانية إلى الكون كَرَدّ فعل تجاه الآراء الأسطورية السائدة المليئة بالتناقضات . وهذا الحدث لم يحدث في الحضارات السابقة؛ لأن المعلومات التي وجدت اعتباراً في غيبة من الكتابة، هي تلك المتداولة بين الأجيال شفاهة . إذ إن الآراء الشخصية السطحية غير المتمثلة للمجتمعات لم تنتشر إلا بعد إيجاد الكتابة . وكانت الكتابة موجودة قبل اليونانيين في بابل ومصر، غير أنهالم تكن متطورة، يضاف إلى ذلك أن القراءة كانت محصورة في نطاق رجال الدين . وهذه الفئة كانت تسيطر على السلطة أو أنها كانت تشاركها في الحكم . وهي فئة كانت تعمق فكرة التدين في المجتمع لأنها كانت تلائم مصالحها . وكانت النظم الاجتماعية لدى اليونانيين تلائمهم وتختلف عما لدى المصريين والبابليين . فهم كانوا يعيشون في إمارات أو دويلات صغيرة . وكان أسلوب الكتابة أقوى لديهم من غيرهم، ونسبة القراء أكثر من غيرهم . ولهذا كله فإن الآراء المدونة المكتوبة كانت تلقى تشجيعًا حتى وإن كان بعد أجيال .

والإتيان برأي جديد كان يعني الخروج على الرأي السائد في المجتمع . وهذا الرأي الجديد وإن كان يلائم الأساطير التاريخية، غير أنه لم يكن رأيًا متكاملاً . والمناقشات التي دارت في المجتمع اليوناني قد أدت إلى نشوء بعض الأسئلة الفلسفية مثل : ما الحقيقة ؟ وما المعرفة ؟ وما الإنسان ؟ وما الوجود ؟ وما المادة ؟ .. وكان من نتيجة ذلك أن نشأت مدرسة أثينا المتمثلة في أفلاطون (عام ٤٠٠ قبل الميلاد)، وتلميذه أرسطو (٣٥٠ قبل الميلاد). وكان لأفلاطون رأي فلسفي رياضي، تأثر فيه بتقاليد فيثاغورث الذي يقسم العالم إلى العالم المثالي وعالم الواقع . وقد عدّ عالم الواقع صورة خاطئة من العالم المثالي . وعدّ الكون وضعًا لمخطط إلهي معقول . والجدير بالذكر أن رأي أفلاطون في تفسير ظواهر الكون المتمثل في قوله «أغيثوا الظاهرة» Save the Phenomena مشهور . وبذلك فكان في الحقيقة يفتح الطريق إلى النموذج الرياضي . وكانت النظرية الأولى في علم الفلك قد قدمت من لدن تلميذه إيدوكسز Eudoxus . وكان أفلاطون قد تصور الكون مثل الكرة . لأن الشكل المثالي كروي . والنظرية التي تقدم بها إيدوكسز كانت تتضمن ٢٧ كرة متداخلة تستند على المركز نفسه . وكانت تلك الكرات تنظم حركات النجوم والكواكب والشمس والقمر ..

وقد تم تطوير تلك النظرية من لدن أرسطو، فرفع عدد الكرات إلى ٥٦ للقيام بتفسير حركات الكواكب والشمس والقمر . غير أن الكون لدى أرسطو يختلف عما لدى أفلاطون . فهو لم يقبل بعالم المثال . وإنما قسم العالم إلى قسمين : عالم ما فوق القمر وعالم ما تحت القمر . والعالم الذي أطلق عليه ما تحت القمر يتكون حسب نظريته من أربع مواد أساسية، هي : التراب ، الماء، الهواء، النار . وكان هذا العالم يتضمن الأرض التي نعيش عليها، وهي مبنية بشكل مؤقت ولها نواقص، ومعرّض للتغير والإفساد؛ بخلاف العالم الآخر (عالم ما فوق القمر حسب تعبيره)، الذي يعد عالمًا أبدياً، كاملاً متكاملاً، لا يتعرض للتغير أو الفساد، وليس له وزن إذ إنه مبني من مادة الأثير، التي صنعت من المادة الأساسية الخامسة.

والقوانين الخاصة بالمادة والحركة (وتعرف بفيزياء أرسطو) كانت موجودة للعالمين منذ الأزل . ولذلك فإن الكون كان أبدياً في الزمان، غير أنها بسبب حركة الكرات اضطرت إلى أن تكون لها نهاية في المكان . مثل قيام الحصان بتحريك العربة. فكان لا بد من تحريك المواد الجامدة من لدن محرِّك . ولذلك فلا بد من وجود الإله بوصفه المحرك الأول Prime mover .

وبالمقابل كانت هناك آراء معارضة لآراء أفلاطون وأرسطو، لا تقبل بفكرة الإيمان بالإله . فعلى سبيل التمثيل كان «ديمقريطوس» من طراقيا (٤٠٠ قبل الميلاد) الذي يرى أن الكون مكون من الذرات ثم «أرستارقوس الإسكندري» (٢٥٠ قبل الميلاد) الذي يرى أن الشمس في مركز الكون بدلاً من الأرض، وأن الكواكب والدنيا تدور حول الشمس . غير أن هذه الآراء لم تلق رواجاً في وجه فلسفة أرسطو المنظمة والمتناسقة والمستندة على الملاحظات والرصد . ويعد أفلاطون وأرسطو سخصيتين بارزتين في العلم والفلسفة، وآراؤهما ما زالت مدار نقاش لدى بعض العلماء والفلاسفة .

وبتأثير من فتوحات الإسكندر أصبحت الثقافة اليونانية تنتقل إلى المراكز الأخرى خارج أثينا . ويطلق على هذه الفترة من التاريخ العهد الهيليني . وقد اشتهرت فيه مدرسة الإسكندرية التي أنشئت في عام ٢٠٠ قبل الميلاد، وكانت تعد امتداداً لمدرسة أثينا غير أنه لم تظهر فيها آراء جديدة، لكن تم فيها تحقيق مبادئ علمية كبيرة . فقد نشأ فيها «أوكليد» و«أرشيمد» . كما تخرج منها «أرتوسفنس» (عام ٢٠٠ قبل الميلاد) الذي نجح في قياس قطر العالم، حيث كانت نظرية كروية الأرض التي قال بها أرسطو تستند على المنطق الفلسفي . ومن أواخر ممثلي هذه المدرسة في علم الفيزياء «بطليموس» (١٥٠ قبل الميلاد) ، وفي الطب العالم البركامي «جالن» (٢٠٠ قبل الميلاد) . ويعد كتاب «المجسطي» الذي كتبه بطليموس مهماً جداً؛ نظراً لقيامه فيه بتقييم آرائه التي ترتكز على مركزية الأرض والشمس من خلال الآراء المتداولة في عصره، فقد وجدت أن دوران الأرض – التي لا يدفعها ولا يجذبها شيء حول الشمس – غير ممكن – وهذا يشبه عجلة تدورُ ناشرة الطين، وكذلك الدنيا إن كانت دائرة فكان ينبغي أن ترمي الناس ومن عليها . يضاف إلى ذلك أن الحصوة إذا رميت لا تقع في موقعها نفسه . فلهذه الأسباب كما هو رأي أرسطو قرر بطليموس أن الأرض مركز للكون . غير أنه بناء على التجارب الجديدة إلى يومه تم تطوير الفكرة . فاجتهد فلاسفة العهد الهيليني في جمع آراء أفلاطون وأرسطو بشكل خاص . فظهرت في هذا العهد فلسفة وحدة الوجود .

وقد توقفت فعاليات العلوم بعد بطليموس وجالن بشكل كبير بل إنها في نظر الغربيين قد أخلدت إلى النوم . وقد أطلقوا على هذا العهد القرون المظلمة . وكانت الإمبراطورية الرومانية التي تضم اليونانيين لم تهتم بالعلوم كما ينبغي حتى قبل قبولها للديانة النصرانية . وقد بدأوا بعد عام ٣٠٠ ميلادية وبتأثير من النصرانية بانتقاد العلم . فكان الراهب «أوجستن» (٣٥٤ – ٤٣٠م) يقول : إن الإله قد خلق الطبيعة للإنسان، ويدعي أن أساس الكون وهدفه روحاني .. ومن جانب آخر كان الراهب «أمبروس» يدعي أن القيام بالبحث في الكون وأسراره لا يفيدنا في الحياة الآخرة . وكان يُستهزأ في هذا العهد بالفعاليات العلمية ويطلق على القائمين على نقل الفلسفة اليونانية «الوثنية»؛ ويستغرب كروية الأرض، ويستنكر ما وراء الطبيعة؛ لأنه كان ينبغي فداء المسيح مرة أخرى للناس الموجودين في تلك العوالم . وكيف يمكن أن يمشي الناس على رءوسهم ، وكيف يمكن نزول الأمطار والبرد من تحت إلى فوق . والخلاصة أنه قد بدأ نشوب الصراع مع العلم .. وقد قام القس «ثوبيلوس» في عام ٣٨٩ ميلادية بتدمير قسم من مكتبة الإسكندرية، غير أن العالم النصراني ادعى أن المسلمين أحرقوا تلك المكتبة بعد انتقالها إليهم عام ٦٤٠م . أما مدرسة أثينا فقد أغلقت بيد «جستنيان» عام ٥٢٩ ميلادية .

إن النظرة النصرانية للكون لم تنشأ بالتحليل المنطقي

والتجربة للظواهر الكونية كما في الحضارة اليونانية؛ بل إنها في الحقيقة نشأت امتدادًا للتقاليد اليهودية . غير أن أهم الفوارق بينهما عدم التركيز على الناحية المادية في الإنسان ، وفسح المجال على النواحي المعنوية، بل إن الناحية المعنوية هي المسيطرة في هذه النظرة النصرانية. كما أن النصارى اهتموا بنظافة القلب بدلاً من نظافة الجسم . لأن الإنسان المثالي – حسب هذه النظرة – موائم لعالم الملائكة . وهو بهذا مترفع عن أعمال الدنيا . ولهذا السبب فقد عدّ الزواج محرمًا على الرهبان والراهبات . والإنسان يولد مفطورًا على الذنوب، مما يوجب عليه القيام بمحوها؛ إذ إنه أخذ نصيبه من الخطيئة الكبرى التي توارثها من أبيه آدم، والتي كانت السبب لإخراجه وزوجه حواء من الجنة . وبناءً على ذلك فإن الخلاص يكمن في التعرف على خلفاء عيسى على الأرض والتسليم لهم .. وهكذا يظهر بجلاء أن هذا الفهم لواقع الحياة بعيد كل البعد عن العقلية العلمية ومتعارض معها .

إن الذين يخلطون بين الإسلام والنصرانية بسبب التشابه في بعض جزئيات الإيمان (بعَدّ الدينين من الديانات السماوية) ينسون في الحقيقة عدة نقاط مهمة؛ فلو عُملت مقارنة بين المبادئ التي منحها الإسلام لأتباعه في عهده الأول من خلال الكتاب والسنة، وتلك الموجودة في النصرانية؛ لوجد الإنسان أنهما متعارضان جد التعارض. إذ الإسلام لا يهمل الجانب المادي في الإنسان الذي يشعر بحاجاته المادية مثل الأحياء الأخرى ويشبع تلك الحاجات لكن في حدود المعقول، ولا ينسى خالقه سبحانه وتعالى، أي هو ذلك الإنسان الذي يستطيع أن يتحكم في أحاسيسه وتصرفاته . وثم إنه – مهما كان هذا الإنسان – إذا ولد فإنه يولد نظيفًا طاهرًا بعيدًا عن الذنب الموروث . وهو يولد في الحياة الدنيا ويطوّر ملكاته التي وُهبها للانتقال إلى الحياة الآخرة . فالدنيا حسب التصور الإسلامي مزرعة الآخرة، وهي دار امتحان وابتلاء . وليس في هذا التصور واسطة بين العبد وربه كما هو في العقيدة النصرانية . والعقل والقلب في الإسلام يرشدانه إلى الحق والصواب . والآيات والأحاديث التي تخاطب السمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم أكثر من أن تعدّ أو تحصى . منها قوله تعالى ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ (الإسراء : ٣٦) .

وقد كون المسلمون نظرتهم إلى الكون والحياة قبل التعرف على الحضارة اليونانية . وإن لم توجد في هذا التصور خريطة للكون؛ إلا أن موقف الإنسان من الكون والحياة ودوره فيها واضح جد الوضوح . وقد ترك اكتشاف أسرار الكون لهذا الإنسان . وكانت التجارب التي تجرى للوصول إلى الحقائق وتحليلها من خلال العلوم والمعارف تعد حجر الزاوية في عقيدة الإنسان المسلم، ولذلك فلا يُستغرب موقف الإسلام الإيجابي من العلوم والمعارف بعكس موقف النصارى السلبي . غير أن مفهوم العلم لدى المسلمين قد تجاوز المفهوم اليوناني . فالكندي على سبيل التمثيل يعرف العلم بقوله : «العلم هو التعرف على حقيقة المخلوق» (٥) .

وبناءً على هذا التفكير فإن العلم يعد وسيلة أو أداة للتعرف على أسرار الكون وكيفية ما تقوم به من أعمال، وليس هدفًا نهائيًا .

وقد عاشت الفعاليات العلمية التي بدأت بحركة الترجمة في القرن التاسع الميلادي، وبحركة التأليف الفعال من المسلمين في القرن الحادي عشر الميلادي عهدًا مثمرًا، وحافظ المسلمون على ريادتهم في هذا حتى القرن الخامس عشر الميلادي . فعلى سبيل التمثيل كان مرصد إستانبول في عام ١٥٧٥م لا يقل من حيث الأدوات والدور الذي يؤديه عن مرصد «تاكو براهه» Tako Brahe الموجود في تلك الفترة (٦)، والمفهوم العلمي الذي تطور من خلال التصور الإسلامي قد انتقل في القرن الثاني عشر الميلادي إلى عالم الغرب النصراني عبر إسبانيا وإيطاليا عن طريق الترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية . وتعد سيميا جابر بن حيان وجبر الخوارزمي وقانون ابن سينا (طبّه وفلسفته) وبصريات ابن الهيثم والمجسطي لبطليموس نماذج لما ترجم من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية. ولإقناع مجتمعاتهم

بالتقاليد اليونانية وبشكل خاص أرسطو، استعمل المفكرون الغربيون آراء الفارابي وابن سينا وابن رشد . ويذكر «م . م . شريف» بالأدلة أن مفكرين غربيين عدة وعلى رأسهم «ديكارت» قد تأثروا بالغزالي [٧] .

والغربيون أصحاب القناعات السابقة لا يقبلون بإسهامات المسلمين للعلوم . بل ينظرون إليهم على أنهم كانوا الوسيلة في حفظ التراث اليوناني إلى الأجيال الآتية دون أن يكون لهم أي إسهام فيها . بل إن غربياً مثل «دراير» Dreyer يشتكي من أنهم وجدوا علم الفلك في القرن الثاني كما تركه بطليموس [٨] . ففي مقرراتهم الدراسية لمادة علم الفلك ينتقل من بطليموس إلى كوبرنيك (١٤٧٣ – ١٥٤٣م)، وكأنه لم يقدم أي شيء خلال فترة زمنية تمتد ١٣٠٠سنة .

ومع ذلك فيمكننا أن نرى مدحًا للمسلمين من أمثال دراير وسارتون ومتّي من المهتمين بتاريخ العلوم . غير أن إسهامات المسلمين للعلم لم تبق مشكلة في العصر الحاضر؛ لأن هناك كثيراً من الأدلة على ذلك . إلا أن أساس المشكلة يكمن في دراسة فترة الانتقال تلك، وتحليلها بشكل صحيح . وظهور نظرية مركزية الشمس في الغرب بعد فترة الانتقال تلك كأنه يثبت أن الغربيين على حق في تجريد المسلمين من إسهامات أساسية في العلوم . وهم يعتبرون فهم واقع الكون قد ساعد على تطور العلوم؛ أما المسلمون حتى وإن كانت لهم جهود في ذلك إلا أن عدم وصولهم إلى نتائج ملموسة كان السبب في تجريدهم من ذلك. ولعل في قول دارير السابق دليلاً واضحًا على ذلك؛ إذ إنه ينكر من طرف خفي أي دور للمسلمين في علم الفلك حين استعرض نظرية كوبرنيك .

والحقيقة أن قصة نظرية انتقال مركزية الأرض إلى مركزية الشمس لم تكن صحيحة كما ادعاها الغربيون أصحاب الأحكام السابقة . فقد قلنا فيما سبق أنه بناءً على عدم تأييد التجارب لنظرية أرسطو في مركزية الأرض، ثم عدم اختيار بطليموس لنظرية مركزية الشمس، وقيامه بتطوير نظرية أرسطو، كان على المسلمين القيام بإجراء التجارب العديدة على نظرية بطليموس الجديدة، وهذا الذي حصل فعلاً . إذ كانت تجارب المسلمين واقعية [٩] . وقد ظهرت بعد فترة أن تلك النظرية غير صحيحة . ولهذا السبب فإن البيروني قد دافع عن مركزية الشمس طول عمره [١٠] .

وقد أكد في نهاية عمره أن علم الفلك لا يتغير سواء استند على مركزية الشمس أو مركزية الأرض، بمعنى إمكان القيام بتطبيق التجربة على النظريتين، وأن العالم يفتقد المعلومات التي تؤدي إلى نتائج صحيحة، فأصر على موقفه من النظريات الموجودة آنذاك .. ومن جانب آخر فقد قدم علماء الفلك المسلمون أمثال نصير الدين الطوسي وابن الشاطر وابن باجة نماذج أخرى مختلفة . ويعد النموذج الذي قدمه ابن الشاطر جديراً بالذكر؛ إذ إن نموذجه هذا يشبه النموذج الذي قدمه كوبرنيك ما عدا مركزية الأرض[١١]، وقد أصبحت نظرية مركزية الأرض تفقد قيمتها في عهد كوبرنيك . وأهم سبب في ترجيح كوبرنيك لاختيار مركزية الشمس عدم التثبت من مركزية الأرض خلال ٦٠٠ سنة . ومع أنه لم يكن لكوبرنيك مرصد – إذ كان يعمل أدواته بيديه – ولم يكن في عهده دليل فيزيائي على دوران الأرض، إلا أنه لا يجوز القول إنه استند إلى تجارب بسيطة في نظريته. وكان نصيب «جاليليو» من مدافعاته الفشل . كما أن آراء كوبرنيك إلى عهد «نيوتون» (١٥٠ سنة) لم تلق قبولاً . غير أنه بعد ٣٠٠ سنة وجدت تلك الآراء قبولاً، فقد تم التأكد منها عام ١٨٥١م من لدن «فوكولت» (١٨١٩ – ١٨٦٨م) عن طريق استخدام رقاص، كما تم التأكيد عليها عام ١٨٣٨م من لدن «ويلهلم بيسيل» (١٧٨٤ – ١٨٤٦م) عن طريق استخدام قياس زوايا النجوم . والمفترض الآن أن العقلية التي لم تقبل بإسهامات علماء المسلمين لعلم الفلك ألا تقبل بالنموذج الذي قدّمه كوبرنيك أيضاً؛ لأن ما قام به بطليموس لا يختلف عما قام به المسلمون .

كانت بدايات العلوم في الغرب متوافقة مع التصور الإسلامي للعلم . وكانت بواكير العلم الغربي تتمثل في بيكون وكوبرنيك وجاليليو وكيبلر ونيوتن وديكارت، وهؤلاء كانوا إما رهبانًا أو أناسًا مخلصين في عقائدهم. فقد خصص نيوتن (١٦٤٢ – ١٧٢٧م) ثلث كتابه (الأسس) Principia في شرح أسرار الكون من خلال المنظور

الديني . غير أن هذا المفهوم للعلوم لم يستمر طويلاً، إذ قام «لابلاس» (١٧٤٩ - ١٨٢٧م) - الذي ادعى من خلال مبادئ نيوتن أن الدنيا انفصلت عن الشمس - فذكر أنه لم ير حاجة للسؤال الذي طرحه «نابليون» : ما دور الإله في هذه النظرية ؟ بقوله : لم أر حاجة لطرح سؤال من هذا القبيل . فقد بدأ عهد جديد لمفهوم العلم مجرد من أية فكرة للألوهية . وكان في آراء أرسطو لابد من وجود الإله لتحريك الكون؛ لأن الحركة مستلزمة للمحرك . أما الآن فقد قضت المادة الأولى من قانون نيوتن على هذا الحكم . فأصبح الأمر بناءً على ذلك : أن الحركة لا تستوجب المحرّك . لأن الحركة مكنونة في المادة . وكان الكون لدى أرسطو لابد أن يكون ذا نهاية . لأن عالم النجوم يدور حول الدنيا . لكن الشمس أصبحت مركز الكون لدى كوبرنيك . وبناءً على ذلك أصبحت النجوم متفرقة في كل الأنحاء دون أن تكون تحت عالم واحد . وبما أن الكون أبدي زمانًا فكان لابد أن يكون أبديًا مكانًا أيضًا . وأصبحت المادة والقوانين التي تحكم بتحريكها موجودة منذ الأزل . وكان نيوتن قَبِل بفكرة الألوهية كشارح للمبدأ وقوانين الحركة . غير أن فكرة الكون ذاتها وتلك المعلومات نفسها أصبحت تفسح المجال لمن لا يريد أن يقبل بفكرة الألوهية . وكانت فكرة الكون المجرد من الألوهية تشكل أساس الدعوة التي بدأت مع «ثالس» (في القرن السابع قبل الميلاد) واستمرت مع المفكرين الأيونيين . وهذه الفكرة اليونانية أصبحت فيما بعد المفهوم الغربي للعلوم .

وقد استبعد المفهوم الغربي للعلوم ما وراء الطبيعة بعد انتشار آراء «هيوم» و«كانت» . وأصبح نطاق هذا المفهوم للعلوم نطاق أضيق . وبذلك أصبحت الأحداث والنظريات التي لا يمكن التأكد من صدقها بالتجارب والاختبارات خارج نطاق العلوم . وهذا بدوره أنتج التيار الوضعي الذي عَدّ الاشتغال بما لم يتم إخضاعه للتجربة ضربًا من العبث . وفكرة الألوهية والبعث والنشور قد يمكن التصديق بها منطقيًا غير أنها نظرًا لعدم خضوعها للاختبار فلا تتفق مع المفهوم العلمي الغربي . وكانت النتيجة أن الإنسان أصبح فارغًا مجردًا من فكرة الإيمان وبات لعبة للقوانين الميكانيكية وجرّد من خصائصه الإنسانية كافة ووضع في مكان الآلة .

وفي نهايات عام ١٨٠٠م شهد العالم الغربي تطورات جديدة في حقل العلوم والمعارف . فقد اكتشف «بولتزمان» المادة الثانية من قوانينه، وهي تؤكد عدم إمكان أزلية الكون؛ لأنه يسير إلى فقدان الحرارة . ومن جانب آخر فقد أكدت النظرية النسبية (لآينشتين) ونظرية الكم Quantum أن للكون مبدأ وينبغي أن يكون له معاد مثل ذلك . وأحدث نظرية في هذا الصدد هي نظرية الانفجار الكبير Big Bang التي مازالت مقبولة في الأوساط العلمية والتي تؤكد على الفكرة السابقة، أي إن الكون محدود بالزمان والمكان. والحقيقة أن فكرة مبدأ الكون ونهايته قد أزعج كثيرًا من رجال العلم منذ أكثر من قرن؛ لأن مثل هذه الأفكار تذكّر بفكرة وجود الخالق سبحانه وتعالى .

والتطورات الحديثة في فلسفة العلوم قد دمرت الوضعية أيما تدمير، فقد أثبت «بوبير» (١٢) - فيلسوف العلوم المعاصر - عدم إمكان إثبات الأحكام الكونية أو النظريات المتعلقة بها علميًا . فهو يعدّ تطور العلم مرتبطًا بمحاولة تخطئة النظريات المُساقة وعدم إمكان ذلك .أما المعارضون لآراء بوبير فقد ردوا عليه بقولهم : إن عدم إمكان تخطئة نظرية علمية لا تعني أن النظرية صحيحة، وإنما تعني عدم إمكان تخطئتها، وهذا بدوره يؤكد عدم إمكان الوصول إلى الحقيقة .. وبناءً على ذلك فقد نشأت بعض التيارات الأخرى بجانب الوضعية مثل الطبيعية (المذهب الطبيعي)، والبراغماتية (المذهب العملي أو النفعي)، والأداتية أو الآلية (وهو فرع من البراغماتية) .. وقد ساق «كوهن» في العهد القريب تفكيرًا علميًا جديدًا (١٣). حازت على تقدير من جهات علمية وإن كان لها معارضون، فحواها أن العلم لا يمكن أن يكون موضوعيًا . فهو يخدم اتجاهات معينة . وهذه الاتجاهات تتقدم مع مرور الأيام وتصبح متعارضة مع التجارب والاختبارات . والانتقال إلى اتجاهات جديدة يتم بنوع من النفوذ الثوري . والعلم - حسب وجهة نظر كوهْن - لا يتقدم إلا من خلال تلك الثورات .

أما «فيراباند» فإنه لا يأمل خيراً من العلم المعاصر ولا من رجاله. فهو يعتقد أن رجال العلم وفلاسفته يدافعون عن العلم مثل دفاع كنيسة روما عن النصرانية في السابق. فرأي الكنيسة هو الصحيح، أما غيره فيعدّ خرافات وثنية. ولسان الرهبان البذيء المليء بالكفر والتحقير أوجدت لنفسها بفضل العلم مسكنًا جديداً. يضاف إلى ذلك أن العلم لم يبق مؤسسة خاصة، فكما أن الكنيسة كانت في السابق عنصراً فعالاً من عناصر المجتمع فكذلك أصبح العلم عنصراً أساسًا من عناصر الديمقراطية. وفي يومنا هذا قد انفصلت الدولة عن الكنيسة انفصالاً تاماً، أما الدولة فإنها تعمل مع العلم يداً بيد. والعلم أصبح مطلوبًا لا لكونه وجد الحقيقة ولا لكونه حصّل النموذج الأمثل، وإنما لكونه قد قام بانتقاد الاتجاهات الأخرى وقدم جواً من الحرية للأفراد.. أما رجال العلم اليوم فلم يقوموا بتوفير الجو الحر للمجتمع، بل على العكس من ذلك يسيرون نحو تعبيد الناس (١٤).

إن العلم الذي كان ثمرة للتفكير المنظم يقوم بمراقبة فكر الإنسان من خلال المبادئ التي طورها. وبذلك يعد العلم الذي يهدد حرية التفكير مع احتمال عدم القيام بمراقبة التقنية التي أنتجها وحشًا كاسراً وكأنه يريد محو الإنسانية وفي القصة التي كتبها «آرثور» Arthur C Klarke في 2001 : A Space Odyssey وفي غيرها من قصص الخيال العلمي تصبح الأجهزة التي اخترعها الإنسان لخدمة الإنسانية مسيطرة على الحكم. ولا يشعر الناس في البداية بهذه السيطرة، بل إنهم يتوقعون أن كل شيء يسير على ما يرام. غير أن البطل الذي يشعر بحقيقة الأمر - حسب ما جاء في الرواية - ، سوف يخلص الإنسانية إن كان له حظ، وفاز في نهاية الصراع.

والحقيقة إن الذي ينظر إلى وضع الإنسانية في مواجهة العلم والتقنية الغربية يجد أن تلك القصة حقيقة وليس خيالاً. يقول كابرا Capra (١٥) : نحن نستطيع مراقبة وإنزال السفينة الفضائية، غير أننا عاجزون عن مراقبة عادم الدخان الذي يخرج من السيارات ومداخن المصانع. نحن نستطيع أن نتخيل المجتمعات التي تعيش مستقبلاً في المدن الفضائية، إلا أننا عاجزون عن ملاءمة مدننا لتكون صالحة للعيش فيها. كما أن علوم الطب قد أساءت لصحة الإنسان، وأصبحت وزارة الدفاع أكبر مهدد لأمننا الوطني .. أ. هـ.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : ماذا عسانا نستطيع القيام به حيال كل ذلك ؟ فهل نستنكر العلم برمّته كما في بعض المجتمعات ؟ والظاهر أن الإجابة عن ذلك ليست بالأمر الهين. وإن كان الجواب لدى بعضهم جاهز، إلا أن ذلك يعكس منظور الشخص ذاته للعلم، ويعدّ جزءًا من النظرة للكون والحياة.

والتصور الذي تكوّن في أذهان المسلمين الأوائل حيال العلم وما يتبعه من الفهم للعلم والمعرفة، قد استمر بعد فترة الانتقال أيضاً. ولم يطرأ عليه تغيير جذري كما هو التصور الأوربي. غير أنه طرأ تغير على النظام القيمي لدى المسلمين مع مرور الأيام. ويصور (علي عزت بيكوفيچ) (١٦) التغيرات التي حصلت في العالم النصراني وفي العالم الإسلامي، فيستخدم تعبير «أسلمة النصرانية، وتنصير الإسلام» ويعد هذا التعبير صحيحًا، إذ إننا نرى تخلي النصرانية عن تعصبها القديم، وذلك باقترابها من القبول لحاجات الإنسان المادية إلى جانب حاجاته المعنوية، ولو درجًا واحداً (١٧)؛ لكن في العالم الإسلامي أصبحت القيم المعنوية هي المسيطرة. والناظر لتاريخ الفكر الإسلامي يرى بوضوح تمكن التصوف من الصدارة (١٨). وبتعبير «السيد حسين نصر» (١٩) كان العلماء في العالم الإسلامي آنذاك يتصورون أنهم وصلوا إلى الموازنة في تصور التفكير الكوني بين الطبيعة.

ومن مزايا النظرة الإسلامية للكون ومنظوره للعلم، تقديم الإنسان على سائر المخلوقات. ولذلك فقد قال الشاعر التركي «يونس أمْرَه» : العلم يعني معرفة العلم، العلم يعني معرفة الشخص نفسه، فإن لم تعرف نفسك، فما العلم الذي تقرأه ؟

ومحاولة إجراء نوع من المقارنة بين نظرة أوربا للحياة التي نشأت من العلوم والتقنية الغربية ونظرة الإسلام، يجد أن الفجوة بينهما شاسعة، وأن النظرتين متعارضتان تماماً. وكما يقول «بديع الزمان سعيد النورسي» : «إذا كانت حكمة العامة

فلسفة، فإن القوة تعدّ المستند الأساس في الحياة الاجتماعية . ويعدّ الهدف منفعة، ويُعترف بالجدل دستورًا للحياة، وتعدّ رابطة الجماعات العنصرية، وتتمسك بالقومية النتنة؛ وثمرتها تطمين هوى النفس، وزيادة الحاجات البشرية. والحقيقة أن أمر القوة تظالم ، وأمر المنفعة تكالب؛ نظرًا لعدم استجابتها لهوى النفوس كلها، وأمر الجدال مصادمة وأمر العنصرية تظالم؛ نظرًا لاستناد غذائها على هضم الغير؛ ولهذا كله فإن سعادة البشرية أصبحت أمرًا سلبياً .

«لكن الحكمة القرآنية تعدّ الحق مستندها بدلاً من القوة، وتجعل الفضيلة ومرضاة الله تعالى غايتها بدلاً من المنفعة، وتستند على التعاون وتجعله دستورها في الحياة بدلاً من الجدال، وتعد صلة الوصل بين الجماعات الرابطة الدينية بدلاً من القومية وتجعلها الرابطة الوطنية وتشجع على السمو الروحي بدلاً من تجاوزات هوى النفس، وترتفع بالإنسان إلى المكان اللائق به، وأمر الحق اتفاق ، وشأن الفضيلة تساند، ودستور التعاون مساعدة الغير، وشأن الدين أخوة وتجاذب، وأمر ضبط هوى النفس والوصول بالروح إلى المعالي سعادة الدارين» (٢٠) .

وأوربا اليوم ليست أوربا الماضية . فقد أصبحت القيم الإنسانية مع النظرة الميكانيكية بعد نيوتن معرضة للدمار والهلاك . ومن جانب آخر لم يبق للتصور الإسلامي للكون والحياة تأثير على الوضع الجديد؛ لأن العالم الإسلامي قد أهمل العلم والتقنية، وانتقلت القوة المادية إلى أوربا . وتأثر العالم الإسلامي بعد القرن الثامن عشر بالاستعمار الغربي، الذي نتج عن النظرة الغربية للكون والحياة . وبذلك فقد بات العالم الإسلامي في مواجهة دفع ثمن إهماله للعلم والتقنية .

وقد ظهر مفكرون في أنحاء العالم الإسلامي كافة وقاموا بالدعوة إلى التجديد . غير أن أساليب هؤلاء المفكرين تختلف بعضها عن بعض؛ وكما وجد من يدعو إلى رفض العلم والتقنية برمتها، فقد وجد أيضًا من يدعو إلى التغريب مطلقًا، على حساب تغيير ثقافتنا وتراثنا . والصراع الذي نشب بين الفريقين بسبب اختلاف وجهة النظر إلى التقنية مازال مستمراً إلى يومنا هذا (٢١) . فعلى سبيل التمثيل فإن «الفاروقي» (٢٢) يقول : إن العالم الإسلامي في خطر جسيم في الفترة التي نعيش فيها . فنحن واقعون بين ثنائية مذهلة . فإما أن نأخذ العلم ونجعل الدين أمرًا فردياً لا دخل له بالحياة، أو أننا نتمسك بالدين ونجعله تاجًا على رؤوسنا ونأخذ منه القوة اللازمة التي نفتقدها بسبب غياب العلم والتقنية .. والحقيقة أن هذه الثنائية خطأ في خطأ .. أ . هـ .

وهناك قضية مهمة في مثل هذه المناقشات ، تَغِيب عن بال كثير من الناس . تلك هي ما يجري بين المتناقشين من الخلط بين المصطلحات من مثل العلم والعلمي والمعرفة العلمية، والمفهوم العلمي والنظرة العلمية والتصور العلمي .. وبسبب عدم تحديد المصطلحات فإن النقاش إما أن ينتهي بالفشل أو لا يصل المتناقشون فيه إلى نتائج ملموسة .

وبديع الزمان سعيد النورسي – رحمه الله – عندما يستخدم تلك المصطلحات فإنه يضعها في مكانها الصحيح، فهو على إلمام تام بها . حيث يقول : نور العقل فنون المدنية . وضياء الضمير العلوم الدينية (أي الشرعية الإسلامية) . وبامتزاجها تتجلى الحقيقة، وبافتراقها يتولد التعصب لدى الأول والشك والحيلة لدى الثاني (٢٣) فهو قد استخدم هنا الفنون المدنية للدلالة على العلم ، وقصد من الحقيقة أيضًا التصور الإسلامي .

ويشكل الإيمان أساس التصور الإسلامي للحياة . والوصول إلى تصور الحياة المتزن والإيمان الخالص مرتبط في الحقيقة بتحليل المعلومات الموجودة . وهذا التحليل يظهر بشكل مباشر للناظر في مؤلفات بديع الزمان . فهو يرى أن التصور الإسلامي الصحيح للحياة، الذي أهملت تفاصيله منذ عشرة قرون يمكن إحياؤه بالمعلومات العلمية المتوافرة في عصرنا هذا . أما التنافر وعدم التناسق بين الآراء المساقة والتجرد من فكرة الألوهية فهو في الحقيقة موجود في التصور الغربي لمفهوم العلم .

إن العالم الغربي وبتأثير من النصرانية قد أهمل الجانب المادي في الإنسان . والتصور الغربي للعلم اليوم يهمل الجانب المعنوي الروحي في هذا الإنسان . وباندماجهما أي العقل والقلب كما يقول بديع الزمان بشكل واضح تكمن سعادة الإنسانية .

الهوامش والمصادر

١- Bilgi Felsefesi / Alparslan Acikgenç . Istanbul : Insan yay . 1992 . sy . 32 .

٢ - Paul Feyerabend / Bilim Kilisesi, ceviren . Cevdet Cerit - Ist : Pinar Yay 1991 . sy. 107.

٣ - Cemal Yildirim / Bilim Tarihi. - Ist : Remzi Kitabevi, 1992 . sy 20 .

٤ - Cemal Yildirim. Ibid . p. 25 .

٥ - Mahmut Kaya / Kindi Felsefi Risaleler. Istanbul : Iz Yay . 1994 . sy . 61..

٦ - Aydin Sayili / The Observatory in Islam and plase in the General History of Observatory . Ankara : Turk Tarih Kurumu, 1988.

٧ - Islam Dusuncesi Tarihi (History of Muslim Philosopy). Istanbul : Insan yay. 1990.

٨ - A History of Astronomy from Thales to Kepler / J . L . E . Dreyer . Secon edition . Newyork : Dover Publications, 1953. p 280.

٩- Aydin Sayili / Ibid .

١٠- Islamda Bilim ve Medeniyet / Seyyid Huseyin Nasr ; Cev . Nabi Avci , Kasim Turan, Ahmed Unal . - Istanbul : Insan Yay . 1991 . sy 141 .

١١- Early Physics and Astronomy / Olaf Pedersen . Cambridge Unv . Press. 1974. p 227.

١٢- The Logic of Scientific Discovety / K . R . Popper . London : Hutchinson , 1968.

١٣- The Structure of Scientific Revolutions / T . S . Kuhn. Chicago : Chicago Unv . Press. 1970.

١٤- Feyeraband . Ibid . P . 108 .

١٥- Bati Dusuncesinde Donum Noktasi / Fritjof Capra , Cev . Mustafa Armagan . Istanbul : Insan yay, 1992. sy 40 .

١٦- Dogu ve Bati Arasinda Islam / Ali Izzetbegovic' Çev . Salih Saban . Istanbul : Nehir Yay . 1992 .

١٧- ويمكن التمثيل لذلك بنشوء حركة البروتستانتية، وحركات التغيير الغربية ... إلخ .

١٨- M . M. Serif . Ibid .

١٩- Islam ve Ilim / Seyyid Huseyin Nasr, Çev. ilhan Kutluer . Istanbul: Insan yay . 1989.

٢٠- Sozler / Bediuzzaman . Almanya : Yeni Asya yay . 1994 sy . 122 .

٢١- Islam Bilimi Tartismalari / Derleuen Mustafa Armagan . Ístanbul : Ínsan yay . 1994 . sy . 122 .

٢٢- The Causal and Telic Nature of The Universe / Ismail R . Faruki . Maas Journal of Islamic Science . v 2. no . 2 (Jul - Dec. 1986) P.9

٢٣- Munazarat / Bediuzzaman . Istanbul : Yeni Asya yay . 1991. sy . 127 .

المراجعات

الأصول في النحو

لأبي بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ)

أحمد مطر العطية
قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

ابن السراج ، أبو بكر / الأصول في النحو ؛ تحقيق عبدالحسين الفتلي .- ط١ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م .- (ثلاثة أجزاء) .

يعد كتاب الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج (٣١٦هـ) (١) من الكتب القيمة في النحو العربي ، وهو يحتل مكانة مرموقة بين مؤلفات أكابر النحاة ، وقد تفرد هذا الكتاب عما سبقه من التآليف ، بمنهجية محكمة ؛ إذ اتبع فيه مؤلفه منهجًا واضحًا ، ضم فيه الأشباه إلى أشباهها ، والنظائر إلى نظائرها ، فجاء كتابًا حسن التبويب جيد التقسيم، حتى قيل فيه : "مازال النحو مجنونًا حتى عقله ابن السراج بأصوله" (٢) .

ومما امتاز به هذا السفر ، تلك الإشارات الواضحة إلى علم أصول النحو ، مما يجعله أول مؤلف وضعت فيه بذور ذلك الفن الذي استوى على سوقه في المؤلفات التي جاءت بعده .

كما أن أهمية الكتاب تتجلى بما حشد فيه المؤلف - رحمه الله - الكثير من آراء الكوفيين وأقوالهم ، مما يجعله بحق من الكتب المتقدمة ، التي نقلت آراء الكوفيين بدقة وأمانة ، وعلى هذا فإنه يُعد مصدرًا موثوقًا لدراسة المذهب الكوفي وتحرير مسائله .

وقد نهض بتحقيق هذا الكتاب الجليل عبدالحسين الفتلي ونشرته مؤسسة الرسالة ببيروت عام ١٩٨٥م في ثلاثة أجزاء وأعادت نشره عام ١٩٨٨م دون أي استدراك.

ولا شك أن الفتلي بعمله هذا ، قد أسدى لقراء النحو العربي ودارسيه خدمة جليلة ، مما يجعلنا نزجي له الشكر والامتنان والعرفان بالفضل ، إذ نفض الغبار عن هذا السفر العظيم ، وأظهره إلى النور بعد ما ظل قابعًا مئات السنين بين آلاف المخطوطات التي تنتظر الباحثين لنشر كنوزها .

غير أن طبعة الكتاب اعتراها الكثير من التصحيف والتحريف، وأصابها سقط في العديد من المواضع، إضافة إلى عدم الدقة في ضبط المواد اللغوية والشواهد، بله الخلل في استخدام علامات الترقيم المؤدي إلى تداخل أجزاء الكلام ، مما يجعل المعنى ملبسًا في بعض الأحايين .

ولعل المحقق - جزاه الله خيرًا - لم تسعفه الظروف في مراجعة الطباعة وتصويب أخطائها .

وقد تنبه إلى ذلك محمد طاهر الحمصي فكانت له نظرات في هذا الكتاب نشرتها مجلة مجمع اللغة العربية في الأردن ، في العدد (٣٥) سنة ١٩٨٨م .

إلا أن الحمصي - جزاه الله خيرًا - لم يستدرك كل مواضع الخلل والزلل ، ولما قُيض لي أن أقرأ هذا الكتاب قراءة متأنية متفحصة ، فقد عثرت على مواضع كثيرة غير تلك التي رصدها الحمصي .

وبعد أن فرغت من تدوين تعاليقي ، وقبل أن أدفع بها إلى الآلة الطابعة ، أطلعني محمد خير البقاعي على مقالة للمستشرق جورج بوهاس منشورة في مجلة البصائر العدد ١٧ أودعها مجموعة من الملاحظات القيمة على كتاب الأصول ، ومما أعلى من قيمتها أن السيد بوهاس استند إلى مخطوطة الكتاب (مخطوطة الرباط) التي اعتمدها

المحقق أصلاً، فعقد مقارنة في عدد من المواضع بين الكتاب المطبوع والمخطوطة، مبرزًا بذلك الخلل الذي طال الكتاب .

بيد أن ملاحظات السيد بوهاس اقتصرت على الجزء الأول من الكتاب . ولم يقف إلا على نحو عشرين موضعًا فقط . وكان بعض من تلك المواضع قد رصدته في تعاليقي.

ولما كانت ملاحظات بوهاس معدودة ، وكانت مجلة البصائر محدودة الانتشار ، فقد آثرت أن أثبت تلك الملاحظات مختصرة ، وقد وسمتها بنجمة دليلاً عليها ، وأحيانًا أورد كلامه بنصه .

والآن أسوق تلك التعاليق منسوقة حسب ورودها في الكتاب(٣).

١ في الصفحة (٣٦/١) : ورد قول ابن السراج في شرحه للاسم : "وإنّما قلت : مادل على معنى مفرد لا فرق بينه وبين الفعل" .
والصواب هو : لأفرق بينه وبين الفعل .

٢ في (٣٧/١) : ورد قول ابن السراج : "فالاسم تخصه أشياء يعتبر بها، منها أن يقال: أن الاسم ..." .
الصواب هو : إنّ الاسم .

٣ في (٤١/١) : في حديثه عن أنواع الكلم (الاسم والفعل والحرف) ورد قوله: "فقد بان فروق ما بينهما".
الصواب هو : ما بينها .

٤ (٤٥/١) : في باب الإعراب والمعرب والبناء والمبني ، قال: "فإذا كانت الحركات ملازمة ، سمي الاسم مبنيًا فإن كان مفهومًا، نحو : «منذ» قيل مضموم" .
الصواب : فإن كان مضمومًا .

٥ (٤٧/١) : ورد قول ابن السراج : "فإذا جمعت الاسم المذكر على التثنية لحقته واو ونون في الرفع".
ثمة كلمة ساقطة، الصواب: .. على حدّ التثنية.

*٦ (٥٩/١) : في شرح المبتدأ ، ورد قوله : "وإنما يراعى في هذا الباب ، وغيره الفائدة ، فمتى ظفرت بها في المبتدأ وخبره ، فالكلام جائز ، وما لم يفد ، فلا معنى له في كلام غيرهم" .

في الكلام سقط، يتضح في نسخة الرباط إذ يرد فيها – نقلاً عن بوهاس – "فلا معنى له في كلام العرب، ولا في كلام غيرهم" (البصائر ٩٨).

*٧ (٦٣/١) : في حديثه عن الإخبار بظرف المكان ، قال : "... نحو قولك : البيع في النهار".
الصواب: البيع في الدار. كما ورد في مخطوطة الرباط نقلاً عن بوهاس (البصائر ٩٤) .

٨ (٦٤/١) : في حديثه عن خبر المبتدأ ، قال : "وكل جملة تأتي بعد المبتدأ ، فحكمها في إعرابها كحكمها إذا لم يكن قبلها مبتدأ، ألا ترى أن إعراب «أبوه منطلق» بعد قولك : بَكْرٌ ، كإعرابه لو لم يكن بكر قبله ، فأبوه مرتفع بالابتداء ومنطلق خبره، فبكر مبتدأ أول ، وأبوه مبتدأ ثانٍ، ومنطلق خبر الأب، والأب «منطلق» خبر بكر .
أرى أن الأفضل أن يكون : ... ومنطلق خبر (أبوه) ، و(أبوه منطلق) خبر بكر .

٩ (٦٥/١) : قال في شرح بعض أمثلة التمرين : "فمن ذلك قولهم : زيد هند العمران منطلقان إليهما من أجله . فزيد مبتدأ أول، وهند مبتدأ ثانٍ ، والعمران مبتدأ ثالث، وهند ما بعدها خبر لها، والعمران وما بعدهما خبر لهما . وجميع ذلك خبر عن زيد" .
اعترى هذا النص بعض اضطراب .
والصواب : فمن ذلك قولهم : زيدٌ هند العمران منطلقان إليها من أجله . فزيد مبتدأ أول ، وهند مبتدأ ثانٍ ، والعمران مبتدأ ثالث، وهند ما بعدها خبر لها ، والعمران ما بعدهما خبر لهما ، وجميع ذلك خبر عن زيد .

١٠(٦٨/١) : في معرض حديثه عن حذف الخبر، قال : "... ومنه لولا عبدالله لكان كذا ، وكذا، فعبدالله مرتفع بالابتداء ، والخبر محذوف ، وهو في مكان كذا وكذا ، فكأنه قال : لولا

عبدالله بذلك المكان ، ولولا القتال كان في زمان كذا وكذا" .

أرى في الكلام سقطًا، ولعله يستقيم لو قال: "... وكذلك لولا القتال لكان كذا وكذا ، فكأنّه قال : لولا القتال كان في زمان كذا وكذا" .

١١(٦٩/١) : ورد قول ابن السراج في أثناء حديثه عن حذف شيء من الخبر : "... وإما أن يكون المحذوف شيئًا ليس فيه راجع ولكنه متصل بالكلام ، نحو قولك : الكر بستين درهمًا، فأمسكت عن ذكر الدرهم بعد ذلك الستين لعلم المخاطب".

أقول : كان يجب أن تُحذف كلمة (درهمًا) بعد قوله : الكر بستين ؛ لأن المثال جاء على حذفها .

١٢(٧١/١) : ورد قول ابن السراج : "... ولذلك بنيت لام (فعل) مع ضمير الفاعل المخاطب في (فعلت)، والمخاطب والمخاطبة أيضًا في فعلتَ وفعلتِ" .

الصواب : ... مع ضمير الفاعل المتكلم في فعلتُ .

١٣(٧٣/١) : في حديثه عن الأفعال المتعدية ، قال : "... والآخر أن يكون فعلاً واصلاً إلى اسم بعد اسم الفاعل" .

فكلمة (اسم) الثانية زائدة . والصواب: ... فعلاً واصلاً إلى اسم بعد الفاعل .

١٤(٧٣/١) : ورد قوله : "... ومنها الأفعال الداخلة على الابتداء والخبر ، وإنما تنبئ عن الفاعل بما هجس في نفسه ، أو تيقنه غير مؤثرة بمفعول ، ولكن أخبار الفاعل بما وقع عنده".

أرى الصواب: ولكن أخبر الفاعل بما وقع عنده.

١٥(٧٤/١) : استشهد ابن السراج بالآية الكريمة ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ «البقرة ١٣٢» . رسم المحقق الكلمة الأولى هكذا: «ولا تموتن» .

الصواب : "﴿فلا تَموتُنَّ ...﴾ الآية ".

أما الآية : ﴿ولا تَموتُنَّ ...﴾ فهي الآية ١٠٢ من سورة آل عمران .

والذي دعا إلى هذه التعليقة ، أن المحقق أحال على سورة البقرة .

١٦(٧٤/١) : في شرحه للآية السابقة ، قال : "لم ينههم عن الموت في وقت ، لأن ذلك ليس المهم تقديمه وتأخيره" .

الصواب: ليس لهم .

١٧(٧٨/١) : في كلامه على اسم المفعول ، قال : "واسم المفعول الجاري على فعله، يعمل عمل الفعل، نحو قولك : مضروب ومعط" .

رسم (معط) بهذه الصورة، يدل على أنها اسم فاعل ، والحديث - كما ترى - عن اسم المفعول ، ولذا فالصواب : مُعْطًى.

*١٨(٨١/١) : سرد ابن السراج بعض الأفعال التي جاءت مبنية للمفعول ، فقال : "فقالوا : أنيخت الناقة" .

ولما كان هذا الفعل ليس من الأفعال المبنية للمفعول، فإن الصواب هو (نُتجت الناقة) وهذا ما وجده بوهاس في المخطوطة (البصائر ٩٥).

١٩(٨٣/١) : قال المحقق في الحاشية (٢) : مر تفسير هذا البيت ص(٤٢) .

والصواب : ص (٦٧) .

٢٠(٨٤/١) : ورد قول ابن السراج : "ونظير أحد عريب وكتيع وطوريء" وأورد المحقق في الحاشية (٣) كلمة (طوريء) .

والصواب : (طوري) غير مهموز . انظر القاموس (طور) .

٢١(٩٠/١) : قال ابن السراج : "... لا تقول : أليس أحدٌ في الدار ، لأن المعنى يؤول إلى قولك : أحد في الدار ، وأحد لا يستعمل في الواجب ، ولذلك لا يجوز أن تجيء إلاّ مع التقرير ، لا يجوز أن تقول : فيها، لأن المعنى يؤول إلى قولك: زيدٌ إلاّ فيها ، وذا لا يكون كلامًا" .

أقول في الكلام سقط لا يستقيم معه المعنى، ولعله يستقيم لو قال : لا يجوز أن تقول أليس زيدٌ إلاّ فيها .

*٢٢ (٩٩/١) : ورد قوله : "لأن فعل التعجب إنما يكون مفعولاً عن بنات الثلاثة فقط" .
الصواب – كما جاء في المخطوطة منقولاً عن (بوهاس) البصائر ٩٦- لأن فعل التعجب إنما يكون منقولاً من بنات الثلاثة فقط .

٢٣ (١٠٥/١) : ورد قوله : "وكل فعل مزيد لا يتعب منه ، نحو قولك : ما أموته لمن مات ، إلاّ أن تريد: ما أموت قلبه ، فلذلك جائز" .
أ – (لا يتعب) خطأ مطبعي ، والصواب : (لا يتعجب) .
ب – في الكلام سقط واضح لا يستقيم معه المعنى، ولعل هذا السقط في المخطوطة. غير أنه من الواجب أن يشير إليه المحقق .

٢٤ (١٢٦/١) : قال ابن السراج : "..كما لو تقول : مررت برجلٍ أخواه الزيدان، وأصحابه وأخوته" .
أرى أن الواو الداخلة على (أخـوته) زائدة أبهمت المعنى، والصواب حذفها. فتصبح العبارة، "... وأصحابه إخوتُه .. " .

٢٥(١٢٦/١) : ورد قوله : "وتقول مررت برجلٍ ضاربٌ زيدًا الآن أو غدًا" .
الصواب : ... برجلٍ ضاربٍ زيدًا .

٢٦(١٢٦/١ – ١٢٧) : في حديثه عن حذف التنوين من كلمة (بالغ) في قوله تعالى : ﴿هديًا بالغ الكعبة﴾ (المائدة ٩٥) قال : "فلو لم يرد به التنوين لم يكن صفة لهدي ، وهو نكرة «ومثله عارض ممطرنا» «وإنّا مرسلوا الناقة فتنة لهم»" . وهذا يوهم أن "ومثله" من الآية الكريمة ، وكذلك الواو من "وإنّا" . فمن الواجب أن تكتب هكذا :
ومثله ﴿عارضٌ ممطرنا﴾ (الأحقاف ٢٤) و﴿إنّا مرسلوا الناقة فتنة﴾ (القمر : ٢٧) .

٢٧ (١٣٠/١) : ورد قول ابن السراج : "... وتقول : حسنون كما تقول: ضارب مضاربة وضاربون".
الصواب : ضارب وضاربة وضاربون .

٢٨ (١٣٣/١) : قال المحقق في الحاشية (٤) : وانظر المقتضب ٤/ ٥٩ .
الصواب : ٤ / ١٥٩ .

٢٩ (١٤٨/١) : في باب المعرفة والنكرة ، قال : "وهذه النكرات بعضها أنكر من بعض، فكلما كان أكثر عمومًا فهو أنكر مما هو أخص منه" .
سقطت كلمة (الاسم) من النص .
والصواب هو : ... فكلما كان الاسم أكثر عمومًا .

٣٠ (١٥٤/١) : في الحاشية (١) قال المحقق : من شواهد سيبويه ١٥٨/١ .
الصواب : ١ /٢٥٨ .

٣١ (١٥٦/١) : قال ابن السراج : "وأما ابن مخلص وابن لبون وابن ماء فنكرة ..." .
الصواب : وأما ابن مُخاض ... فنكرات.

٣٢ (١٥٧/١) : ضبط المحقق كلمة (الصعق) بكسر الصاد.
الصواب : فتحها (الصَّعِق) . انظر اللسان (صعق).
وكذلك ضبط كلمة (الدّابران) بكسر الباء ، والصواب فتحها (الدَّبَران) . اللسان (دبر) .

٣٣ (١٥٧/١) : ورد قول ابن السراج : "ومن قال : حارث وعباس ، فهو يجريه مجرى زيدًا"
الصواب : مجرى زيدٍ .

٣٤ (١٦٤/١) : في الحاشية (٤) أحال المحقق على المقتضب ٢٤٤/٣ .
الصواب هو : ٢٣٤/٣ .

٣٥ (١٦٦/١) : ورد قول ابن السراج : "فأما كلهم وجميعهم وعامتهم وأنفسهم ، وأجمعون فلا يكون أبدًا إلاّ صفة إذا أضفتهن إلى المضمرات".

الصواب هو : فلا يكنْ أبدًا إلاّ صفة (انظر سيبويه ٣٧٧/١) .

٣٦ (١٦٨/١) : ورد قول ابن السراج : "فأما المفعول الذي دخل عليه حرف الجر ، نحو : سيرا بعبدالله ..." .

الصواب هو سِيرَ بعبدالله (بالبناء للمفعول).

*٣٧ (١٦٨/١) : استشهد ابن السراج بالآية الكريمة ﴿فإذا نُفِخَ في الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ﴾ (الحاقة ١٣) . ضبط المحقق نفخة بالنصب ، والصواب بالضم .

٣٨ (١٧٢/١) : في حديثه عن ضمائر المثنى والجمع التي تلحق الفعل ، عندما يكون الفاعل مثنى أو جمعًا، قال : "فهؤلاء إنما يجيئون بالألف والنون، والواو والنون في يضربان، ويضربون، وبالألف والواو في ضربا وضربوا، فيقولون : ضربا الزيدان ، وضربوا الزيدون ليعلموا أن هذا الفعل لاثنين لا لواحد ولا لجميع ولا لاثنين ولا لواحد" .

العبارة في نهاية النص مضطربة، ولعلها تصبح مستقيمة لو قال : ... ليُعلموا أن هذا الفعل لاثنين لا لواحد، وللجميع لا لاثنين ولا لواحد.

٣٩ (١٧٣/١) : قال ابن السراج : "فلهذا وغيره من العلل ما جمع على التاء ولم يجمع على الألف والواو" .

الصواب : ما أجمع على التاء ...

٤٠ (١٧٣/١) : ورد قوله : "والتأنيث الحقيقي الذي لا يجوز فعله إلاّ بعلامة التأنيث، هو كل مؤنث له ذكر كالحيوان ، نحو قولك : قامت أمة الله، ونتجت فرسك والناقة" . سقطت كلمة (الإنسان) من النص .

والصواب : له ذكر كالإنسان والحيوان .

٤١ (١٧٧/١) : قال في باب الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين :"والأفعال التي تتعدى إلى مفعول واحد كلها إذا نقلتها من (فَعَل) إلى (أفعل) كانت من هذا الباب ، تقول : ضرب زيدًا عمرًا ، ثم تقول : أضربت زيدًا عمرًا" .

الصواب : ضرب زيدٌ عمرًا .

٤٢ (١٨٢/١) : قال المحقق في الحاشية (١) : يطلق عند الكوفيون ..

الصواب : عند الكوفيين .

٤٣ (١٨٦/١) : استشهد ببيت ذي الرمة :

أظنُّ ابنُ طرثوث عتيبةُ ذاهباً
بعاديَّتي تكذابُهُ وجعائلُهْ

ضبط المحقق الفعل (أظنُّ) بالضم، وكلمة (ابن) بالفتح .

أقول : لا وجه لهذا الضبط . والضبط الصحيح – كما ورد في معاني القرآن للفراء (٤١٥/١) – بفتح الفعل (أظنَّ) ورفع كلمة (ابنُ) .

ورواية الديوان (١٢٦٤/٢) هي :

لعل ابنُ طرثوث عتيبة ذاهبٌ ... البيت

٤٤ (١٨٧/١) – قال ابن السراج في باب الفعل الذي يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل : " .. فمن هنا حسن الإلغاء في (ظننت وعلمت) ولم يجز إلغاء (علمت)" .

الصواب : ولم يجز إلغاء أعْلَمتُ .

– وقال كذلك : "ولو ألغيت (أعلمت ورأيت) من قولك : أريت زيدًا بكرًا خير الناس، وأعلمت بشرًا خالدًا شر الناس" .

الصواب : ... ولو ألغيت (أعْلَمْتَ وأرَيْتَ) .

٤٥ (١٨٨/١) : ورد قوله : "وتقول أعلمت زيدًا عمرًا هندٌ معجبها هو . كان أصل الكلام : علم زيدًا عمرًا هند معجبها هو " .

الصواب : علم زيدٌ عمرًا ...

٤٦ (١٩٥/١) : في الحاشية (١) ، أحال المحقق على المقتضب ٣٤٧/٢ .

الصواب : المقتضب ٣٤٧/٤ .

٤٧ (١٩٨/١) : قال في ذكر المكان : "... وهما خطان جانبتي أنفهما ، يعني الخطين اللذين اكتنفا أنف الظبية" .
الصواب : وهما خطان جانبي أنفها .

٤٨ (٢٠١/١) : ورد قول ابن السراج : "تقول : زيد خلفك، والركب أمامك ، والناس عندك ، وقد مضى تفسير هذا ، ذلك أن تجعل الظروف من المكان مفعولا على السعة كما فعلت ذلك في الأزمنة" .
الصواب : ولك أن تجعل الظروف ...

*٤٩ (٢٠٦/١) : ورد قوله : "وتقول في الدار عبدالله قائمًا، فتعيد «فيها» توكيدًا" .
العبارة مضطربة ، ولعلها تستقيم لو قال : وتقول في الدار عبدالله قائمًا فيها . فتعيد «فيها» توكيدًا .

٥٠ (٢١٠/١) : في شرح المفعول معه ، قال : "ومثل ذلك : مازلت وزيدًا ، أي : ما زلت بزيد حتى فعل فهو مفعول به" .
الصواب : فهو مفعول فيه .

٥١ (٢١١/١) : وقال في باب المفعول معه أيضًا : "ولا يجوز التقديم للمفعول في هذا الباب ، لا تقول : والخشبة استوى الماء ، لأن الواو أصلها أن تكون للعطف ، وحق المعطوف أن يكون بعد العطف عليه" .
الصواب : بعد المعطوف عليه .

٥٢ (٢١٤/١) : ورد قول ابن السراج : "والفرق بين الحال وبين الصفة تفرق بين اسمين مشتركين في اللفظ والحال زيادة في الفائدة ، والخبر" .
الكلام هنا مضطرب ، ومرد ذلك إلى سقوط كلمة، ووضع علامات الترقيم في غير مواضعها. ولعل الكلام يستقيم لو قال : والفرق بين الحال والصفة ، أن الصفة تفرق بين اسمين مشتركين في اللفظ ، والحال زيادة في الفائدة والخبر .

٥٣ (٢٢٧/١) : استشهد ابن السراج بجزء من الآية (٢٦٠) من سورة البقرة، وكتبت هكذا : (يأتيك سعيًا) .
والصواب : ﴿يأتِينَكَ سَعْيًا﴾ .

٥٤ (٢٢٨/١) : في حديثه عن (أفعل) التفضيل قال : "فإذا كان على هذا لم تقع معه «من» وكانت أنثاه على (فعلى) وتثنيتها الفضليان ، والفضلين وتجمع الفضل والفضليات" .
الصواب : وتثنيتها الفضليان والفضليين ، وتجمع على الفضل والفضليات .

٥٥ (٢٣٠/١) : ورد قول ابن السراج : "ومع ذلك أنّا وجدنا كلما عمل في المبتدأ رفعًا ونصبًا علم في خبره" .
كتبت (ما) متصلة بـ(كل) . والواجب هنا أن تكتب منفصلة . وجرى أيضًا تحريف في كتابة (عمل) .
والصواب : ومع ذلك أنا وجدنا كل ما عمل في المبتدأ رفعًا أو نصبًا عمل في خبره .

٥٦ (٢٣٩/١) : استشهد ببيت الأعشى :

في فتية كسيوف الهند قد علموا
أن هالك كلُّ من يحفى وينتعل

ثم عقب بقوله : "كأنه قال : إنه هالك" .
فهو هنا يحكي قول الأعشى ، فمن الواجب أن تكون العبارة (كأنه قال : "أنّه هالك") (على الحكاية) .

٥٧ (٢٤٣/١) : استشهد بالآية الكريمة ﴿إنَّ لك أنْ لا تجُوعَ فيها ولا تَعْرَى ، وأنَك لا تَظْمأ فيها ولا تَضْحَى﴾ «طه ١١٨ - ١١٩) . ثُم بين موضع (أنّ) وما بعدها ، ثم قال : ومن قرأ ﴿وأنَك لا تظمأ﴾ . وجعله مستأنفًا .
أقول: إن سياق الكلام يقضي أن تضبط همزة (إنّ) بالكسر ، لأن قراءة الكسر هي المقصودة هنا . والذين قرأوا هذه القراءة نافع وحفص وشيبة ، وابن سعدان (انظر

البحر المحيط ٦ / ٢٨٤) .

٥٨ (٢٤٥/١) : وقال أيضًا : "وإذا قلت : إنّ زيدًا فيها لقائم، فليس «فيها» إلاّ الرفع، لأن اللام لابدّ من أن يكون خبر إن بعدها على كل حال" .
وضع المحقق «فيها» بين إشارتي تنصيص ، وهذا ما جعل الكلام لأول وهلة موهمًا ، لأنّه يوحي بأن المقصود بالحكم هو «فيها» التي وردت في المثال الذي أورده . بينما المقصود هو «القائم» .

٥٩ (٢٤٩/١) : ورد قول ابن السراج : "يجوز لك أن تفصل بين الصفة والموصوف وتقول : إن زيدًا منطلق وعمرًا ظريف فتعطف عمرًا على «إنّ»".
في هذا النص شيء من إبهام ، مردّه إلى أنه لم يضع نقطة بعد كلمة الموصوف . وإلى سقوط كلمة (اسم) . والصواب : فتعطف عمرًا على اسم «إنّ» .

٦٠ (٢٥١/١): استشهد بالآية الكريمة ﴿وَيْكأنّه لا يفلح الكافرون﴾ (القصص/ ٨٢)، وضبط المحقق «وَيكأنه» بفتح الياء . والصواب بسكونها .

٦١ (٢٥٢/١) : استشهد ببيتين لزيد بن عمرو بن نفيل، ثانيهما :

وي كأن من يكن له نشبٌ يُحبـ
ـبْ ومن يفتقر يعش عيش ضر

ضبط المحقق كلمة «وي» بفتح الياء . والصواب بسكونها.

٦٢ (٢٥٧/١) : ورد قول ابن السراج : "وقال قوم : إن الاختيار مع الواو التثنية في قولك : إنّ زيدًا وعمرًا قائمان ، ويجوز : قائم ، مع ثم والفاء التوحيد ، ويجوز التثنية" .
سقط من النص حرف العطف «الواو» فشاب النص شيء من إبهام .
والصواب ... ويجوز قائم ، ومع ثم والفاء التوحيد .

*٦٣ (٢٦٠/١) : ورد قوله : "وإن عمرًا والله ظالمٌ . وإن زيدًا هو المسكين مرجوم" .
كلمة مرحوم هنا لا معنى لها ، والصواب «مرحوم» كما في المخطوطة نقلاً عن بوهاس (البصائر ٩٧) .

٦٤ (٢٦٣/١) : في باب كسر ألف إنّ وفتحها ، ورد قوله : "قال سيبويه : كان عيسى يقرأ هذا الحرف ﴿فدعا ربّه أنّي مغلوب﴾ (القمر/١٠)، ضبط المحقق «إنّي» بالفتح . بينما قراءة عيسى بكسر الهمزة . انظر البحر المحيط ١٧٦/٨، وسيبويه ١٤٣/٣ .

٦٥ (٢٦٧/١) : أورد ابن السراج قول سيبويه الآتي : "قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله : ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتّقون﴾ (المؤمنون / ٥٢) . ضبط المحقق همزة «أن» بالفتح والكسر هكذا «أَنِ» وكان يجب الاكتفاء بفتح همزة «إنّ» لأن السؤال عنها . وفي صفحة ٢٧١ ضبطها بالكسر، والصواب فتحها (انظر سيبويه ١٢٦/٣) .

٦٦ (٢٦٩/١) : وفي الباب نفسه جاء : "قال سيبويه : سألته – يعني الخليل – عن قول العرب : ما رأيته مذ أنّ الله خلقني . فقال : إن في موضع اسم ، كأنك قلت : مذ ذاك" .
ضبط المحقق همزة «أنّ» بالكسر في قوله : «فقال : إنّ» والصواب هو فتحها لأنه يحكي «أن» المفتوحة في قول العرب ، ولعل مجيئها بعد القول أوهم أنها مكسورة .

٦٧ (٢٦٩/١) : وقال أيضًا : "وكل موضع تقع فيه «أن» تقع فيه «إنّما»" .
الصواب : أنّما .

٦٨ (٢٧٢/١) : استشهد ببيتين لابن الإطنابة، ثانيهما هو:

أنّما تَقْتُلُ النّيامَ ولا تقـ
ـتُل يَقْظَان ذا سلاح كميًا

أ - ضبط المحقق اسم الشاعر بفتح الهمزة. والصواب كسرها . انظر شرح أبيات مغني اللبيب ١٤٩/٤) .

ب - ضبط همزة «أنَّما» بالكسر . والصواب فتحها . انظر سيبويه (١٢٩/٣) .

٦٩ (٢٧٧/١) : في إثباته أن الكاف هي العاملة في «أنَّ» في مثل قولهم : «وذلك حق كما أنَّك ها هنا». قال : "ويدلك على أن الكاف هي العاملة قولهم : هذا حقٌّ مثلَ ما أنَّك هنا ، ففتحوا «أن» وبعض العرب يرفع «مثل» ، حدثنا به يونس ، فما أيضًا لغوٌ".

اعترى الكلام سقط فأبهمه ، وبالرجوع إلى كتاب سيبويه (١٤٠/٣) استطعنا أن نكمل النص وهو : "حدثنا به يونس ، وزعم أنَّه يقول أيضًا : "إنَّه لحقٌّ مثلُ ما أنَّكم تنطقون" فلولا أن (ما) لغو لم يرتفع «مثل» ، وإن نصبت «مثل» فما أيضًا لغوٌ".

٧٠ (٢٧٩/١) : أورد الآية الكريمة : ﴿لا أقسم بهذا البلدِ﴾ (البلد / ١) .

وضبط كلمة البلد بالرفع . وصوابه بالكسر .

٧١ (٢٨١/١) : ورد قول ابن السراج : "وتقول : أيقول : إنّ عمرًا منطلق ، إذا أردت معنى : أتظن".

الصواب : وتقول : أتقول : أنَّ عمرًا منطلق ...

- ثم قال : "وتقول : ظننت زيدًا أنه منطلق لأن المعنى : ظننت زيدًا هو منطلق ، ولا يجوز فيه الفتح".

ضبط المحقق «إنه» بفتح الهمزة ، والصواب الكسر كما نص ابن السراج .

- ثم قال أيضًا : "والأخفش يقول إذا حسن في موضع (إن) وما عملت فيه (ذاك) فافتحها ... وتقول : أما أنه منطلق ، لأنه لا يحسن ها هنا أما ذاك ، ثم أجازه بعد" .

ضبط المحقق (إنَّه) بالفتح ، والصواب بالكسر لأنه هو المقصود بالحُكم .

٧٢ (٢٨٢/١) : في ذكر المستثنى قال : "وتقول : ما ضربت إلاَّ أحدًا إلاَّ زيدًا" .

الصواب : ما ضربت أحدًا إلاَّ زيدًا .

٧٣ (٢٨٤/١) : في باب ما جاء من الكلم في معنى إلا، قال : "اعلم : أنَّه قد جاء من الأسماء والأفعال والحروف ما فيه إلاَّ" .

والصواب : ما فيه معنى إلاَّ .

٧٤ (٢٩٠/١) : في باب الاستثناء المنقطع من الأول ، قال: "وربما ارتفع ما قبل إلاَّ ، وهي لغة بني تميم".

والصواب : وربما ارتفع ما بعد إلاَّ ...

*٧٥ (٢٩٠/١) : وفي الباب نفسه قال : "فمن ها هنا تشابها. تقول : ما قام أحدٌ إلاَّ زيدٌ ، فزيد قد قام، ويفرق بينهما أنّ لكن لا يجوز أن تدخل بعد واجب". قال بوهاس : "عجيب، إلام يرجع الضمير هما ؟ جاء في المخطوطة: فمن ها هنا تشابها . تقول : ما قام أحدٌ إلا زيدٌ فزيد قد قام ، وتقول : ما قام أحد لكن زيدٌ ، فزيد قد قام ، ويفرق بينهما أنَّ ..." . إذًا الموضوع واضح ومحور النص هو الفرق بين إلاَّ ولكن . (البصائر ١٠٦) .

٧٦ (٢٩٣/١) : استشهد ببيتين من الشعر ، ثانيهما :

إلاَّ كنا شرةَ الذي ضيَعْتُم
كالغُصْنِ في غُلَوائِهِ المتنبِّتِ

ضبط المحقق (كنا شرة) بالكسر ، والصواب بالفتح على زيادة الكاف . (انظر المقتضب ٤١٨/٤، وسر الصناعة ٣٠٣/١).

٧٧ (٢٩٤/١) : وكذلك استشهد بالبيت التالي :

إلاَّ كخارجةَ المكلفَ نفسَهُ
وابني قَبِيصَةَ أن أغيبَ وَيَشْهدا

ضبط المحقق (كخارجة) بالكسرة . والصواب الفتح على زيادة الكاف أيضًا. (المقتضب ٤١٨/٤) .

*٧٨ (٢٩٨/١) : ورد قوله : ألا ترى أنَّك تقول : ما أتاني من أحد لا عبدالله ولا زيدٌ ، من قبل أنَّه خطأ

أن تحمل المعرفة (من) في هذا الموضوع .
في المخطوطة – نقلاً عن بوهاس – من قبل أنّه خلف أن تحمل ... (البصائر ١١٠) .

٧٩ (١/٣٠٥) : في حديثه عن (لاسيما) ، ورد قوله : "والسي ، والمثل ومن نصب جعله ظرفًا" .
الكلام مضطرب هنا ، وسبب ذلك زيادة الواو في (والمثل) ، وعدم وضع علامات الترقيم . والصواب : والسي المثل ، ومن نصب جعله ظرفًا .

*٨٠ (١/٣١٩) : في باب (كم) قال: "فإذا رفعت فإنما المعنى: كم دانقًا هذا الدرهم الذي أسألك عنه".
في الكلام سقط ، جاء في المخطوطة – نقلاً عن بوهاس – فإذا رفعت فلست تريد التمييز . فإذا قلت كم درهمٌ عندك ، فرفعت فإنما المعنى ... (البصائر ١٠٦) .

*٨١ (١/٣١٩) : ورد قوله : وإذا فصلت بين كم وبين الاسم وبشيء استغنى عليه السكوت .
الصواب : ... بشيء ..

*٨٢ (١/٣٢٢) : في الباب نفسه ورد قوله: "وتقول: كم رجلٍ قد رأيته أفضل من زيد ، لأنك جعلت «أفضل» خبراً عن «كم» لأن «كم» اسم مبتدأ".
سقط من العبارة ما يقارب السطر، جاء في المخطوطة : "وتقول: كم رجلٍ قد رأيته أفضلَ من زيد . إن جعلت «قد رأيته» من نعت رجل قلت «أفضل من زيد» لأنك جعلت أفضل خبرًا عن كم، لأن كم اسم مبتدأ». (البصائر ١٠٧).

*٨٣ (١/٣٣٠) : في حديثه عن نداء الاسم العلم ، وقع اضطراب في ضبط همزة (إنّ) .
*قال : "ويحيل قول من قال : أنه معرفة بالنداء فقط إنّك قد تنادي باسمه من لا تعلم له فيه شريكًا" .
الصواب :... من قال : إنه ... أنّك قد تنادي ...
وقال أيضًا : "فمن قال : أن الاسم معرفة بالنداء ... فحسن " .
الصواب : فمن قال : إن الاسم ...

٨٤ (١/٣٣١) : في ردّه على من ادعى أن الاسم العلم المنادى هو معرفة بالنداء ، قال : "وإنّما ادعى من قال: أن : يا زيد معرفة بالنداء ، لا بالتعريف الذي كان له . قيل : أنه وُجد الألف واللام لا يثبتان مع (يا) في التعريف في التثنية" .
اعترى هذا النص اضطراب ، من تصحيف، وسقوط حرف، وسوء استخدام علامات الترقيم.
والصواب هو : وإنّما ادّعى من قال : إنّ يا زيد معرفة بالنداء ، لا بالتعريف الذي كان له قبلُ ، أنّه وجد الألف واللام لا يثبتان مع (يا) في التعريف وفي التثنية .

٨٥ (١/٣٣٢) : وفي الباب نفسه ، قال : "... فلهذا حَسُنَ أن تتبعه النعت ، فتقول : يا زيدٌ الطويلٌ ، كما تقول : قام زيدٌ الطويل ، يا زيد وعمرو، فتعطف كما تعطف على المرفوع" .
في هذا النص سوء ضبط ، واضطراب لا يستقيم معه الكلام . ولعله يستقيم لو كان : "... فلهذا حسن أن تتبعه النعت فتقول : يا زيدُ الطويلُ كما تقول : قام زيدٌ الطويلُ ، وتقول : يا زيد وعمرو ، فتعطف كما تعطف على المرفوع" .

٨٦ (١/٣٣٩) : أنشد ابن السراج الشطر التالي :
يا صاح يا ذا الضامرُ العنسِ
ضبط المحقق كلمة (الضامر) بالكسر ، وهذا وهم . والصواب ضمها كما في سيبويه ١٩٠/٢ ، وهي المقصودة بالإنشاد هنا ، ومثل ذلك رواية المبرد في المقتضب (٢٢٣/٤) . أما رواية الكسر فهي رواية الكوفيين كما ذكر المحقق في الحاشية إلا أنها ليست هي المرادة هنا .

٨٧ (١/٣٤٠) : في شرح الاسم المنادى المضاف ، قال : "فإن أضفت المنادى إلى نفسك فحكم كلّ اسم تضيفه إلى نفسك أن تحذف إعرابه،

وتكسر حرف الإعراب ، وتأتي بالياء التي هي اسمك فتقول : يا غلامي وزيدي ، فإذا ناديت قلت : يا غلام أقبل ، لا تثبت (ياء) الإضافة كما تثبت التنوين في المفرد تشبيهًا به".

في النص اضطراب ، ولعله يستقيم لو قال : "فإن أضفت المنادى إلى نفسك ، فحكم كل اسم تضيفه إلى نفسك ، أن تحذف إعرابه ، وتكسر حرف الإعراب ، وتأتي بالياء التي هي اسمك فتقول : غلامي وزيدي ، فإذا ناديت ، قلت : يا غلامِ أقبل ، لا تثبت (ياء) الإضافة ، كما لم يثبت التنوين في المفرد" (المفرد هنا يعني به غير المضاف) .

٨٨ (٣٤٢/١) : في الموضوع نفسه قال : "وتقول : يا زيد عمرو ويا زيد زيد أخينا ، ويا زيد زيدنا" .

لم يُضبط النص ، والضبط ضروري هنا ، كما سقطت كلمة (زيد) قبل كلمة (عمرو)

والصواب هو : وتقول : يا زيدَ زيدَ عمرو ، ويا زيدَ زيدَ أخينا، ويا زيدَ زيدَنا . (انظر سيبويه ٢٠٥/٢) .

٨٩ (٣٤٣/١) : وقال في شرح تابع النداء مثل يا زيدَ زيدَ أخينا : "فأما أقحمت الثاني توكيدًا للأول ، وأما حذفت من الأول المضاف" .

الصواب : فإما أقحمت ... وإمَّا حذفت .

٩٠ (٣٤٤/١) : وقال : أيضًا في شرح المنادى المضارع للمضاف لطوله : "إذا ناديت اسمًا موصولاً بشيء ، هو كالتمام له ، فحكمه حكم المضاف ... وذلك قولك : يا خيرًا من زيد أقبل ... ويا عشرون رجلاً" .

الصواب : يا عشرين رجلاً .

٩١ (٣٤٧/١) : ورد قول ابن السراج في شرح نداء مثل، يا فُسَق ويا لُكَعُ : "أما التغيير، فقولهم : يا فُسَقُ ويا لُكَعُ ، عدل عن فاعل إلى فعيل" .

الصواب : إلى (فُعَل) .

– ثم قال : فإن لم ترد العدل ، قلت : يا لكع ويا لكعاء .

لعل الصواب يا لاكع .

٩٢ (٣٥٩/١) : قال في باب الترخيم : "... وفي برثن : يا برث أقبل ، تترك الضمة على حالها ، وفي هرقل أقبل تدع القاف على سكونها" .

في الكلام سقط ، والصواب هو : ... وفي هِرَقْل يا هرَقْ أقبل ...

*٩٣ (٣٦٢/١) : ورد قول ابن السراج : "وأما ما كان منقوصًا ، وكان مع الهاء على ثلاثة أحرف ، فقولهم : يا شاء ادْجني" .

كلمة (ادجني) تصحيف عن (ارْجني) (٤) كما في سيبويه (٢٤١/٢) وكما في المخطوطة باعتراف المحقق في الحاشية (١) إذ يقول فيها : "في الأصل (ارْجني) بالراء، وليس صحيحًا ، إذ هو (ادجني) ...

والمفارقة العجيبة أن ابن السراج صرَّح بحرف الراء مرتين وهو يناقش هذا المثال ، وأثبت المحقق ذلك دون أن يغير حرف الراء إلى دال . أو يتنبه إلى أن القراءة الصحيحة هي «ارجني» .

وإليك ما قاله جورج بوهاس : "لم يتحمل محققنا عبء النظر ، ولو في معجم مدرسي، لقد قرأ ارجني (إن خط المخطوطة هنا جدّ واضح ، لدرجة أنه يعسر قراءة شيء آخر) لكن لجهله بهذا اللفظ، قام فورًا بإدراج الحاشية الأولى، حيث يشرح لقارئه أنه يجب أن يقرأ على الرغم مما ورد في المخطوطة : ادجني .

واحسرتاه لقد صرح ابن السراج جليًّا وبعناية أنَّ الراء هي الحرف الذي يتصدر الكلمة : بجرأة عجيبة ، يكتب المحقق تلك الراء غير عالم أنَّه بذلك يلغي حاشيته وقراءته" . (البصائر ١٠٣) .

٩٤ (٣٦٣/١) : في حديثه عن ترخيم رجل سمي بـ

(قاضين) قال: "فإن رخمت «قاضين» وهو في الأصل قلت : يا قاضي ، فرجع ما كان سقط لالتقاء الساكنين" . سقط من النص كلمة قاضيين . والصواب : فإن رخمت (قاضين) وهو في الأصل قاضيين ، قلت يا قاضي .

٩٥ (٣٦٤/١) : وفي الباب نفسه قال : "... وكذلك إن كنت أسكنت حرفًا متحركًا للإدغام في حرف مثله، وقبله ساكن ، فحذفت الأخير للترخيم، فإنك ترد الحركة لالتقاء الساكنين ، وذلك قولك لرجل اسمه (رادٌّ) يا رادِ أقبل إذا رخمت وفي محمارٍّ أقبل ، لأن الأصل رادد، ومحمارر" . وفي هذا النص أيضًا نجد كلمة ساقطة وهي يا محمارِ .

والصواب : ... وفي محمارّ: يا محمارِ أقبل.

٩٦ (٣٦٥/١) : وفي الباب نفسه أيضًا قال : "واعلم : أنَّ الأسماء التي ليست في أواخرها هاء أنَّ لا يحذف منها أكثر" .

الكلام هنا مبهم ؛ والسبب سقوط (ما) قبل (لا).

والصواب : ... أنَّ ما لا يحذف منها أكثر.

٩٧ (٣٦٧/١) : في كلامه على أسلوب اللهم أغفر لنا أيتها العصابة ، قال : "ولا يدخل في هذا الباب لأنه لست تنبه غيرك" .

الصواب : ولا تَدْخل (يا) في هذا الباب ...

٩٨ (٣٧٠/١) : في حديثه عن (ابنم) و(امرئ) ، ورد قول ابن السراج : "... وقولك وقد يخفف الهمز ، فتقول : مَرٌ ، فيقع الإعراب على الراء ، فلذلك تبعت الهمزة" .

الكلام مضطرب ، وسبب ذلك سقوط بعض الكلمات منه .

والصواب : "وقولك : هذا مَرْؤٌ ، وقد يخفف الهمز ، فتقول : مَرٌ ..." .

٩٩ (٣٧٣/١) : في حديثه عن ترخيم (سفيرج) اسم رجل، قال : "... وتجعله بمنزلة «قاضون» اسم رجل ، إذا قلت : يا قاضي ، الياء التي كانت ذهبت لالتقاء الساكنين" . سقطت من النص كلمة فأبهمته، والصواب: ... إذا قلت : يا قاضي ، فرددت الياء ...

*١٠٠ (٣٧٤/١) : ورد قوله : "ولو سمَّيْته سفيريج لم يجز أن تقول فيه : سفرجل ، واسمه سفيريج" .

قال جورج بوهاس : لقد غيّر المحقق النص، مما يبيّن أنه لم يفهم النقطة الدقيقة المعالجة هنا . إذ أقرأ في مخطوطة الرباط :

ولو سميته سفيريج لم يجز أن تقول في اسمه سفيرج لأنك...

وهذه القراءة غير قابلة للتغيير ، ولا مكان للسفرجل هنا ، لأن معنى النص هو أنّه لا يمكننا أن نغير وزن اسم العلم ، فإذا كان اسم شخص سفيريج لا يصح أن نسميه سفيرج ، ومما يؤيد قراءتنا أن ابن السراج يقول الكلام نفسه فيما يخص فريزد وفريزق، تصغيري فرزدق . (البصائر ١٠٤) .

١٠١ (٣٧٥/١) : ورد قول ابن السراج : "والكوفيون يجيزون : يا جرجر في جرة ، وفي حولايا ، يا حول ، فيحذفون الزوائد كلها" .

الكلام مبهم وغير واضح . والصواب : والكوفيون يجيزون يا جرُ في جرجرة ، وفي حولايا: يا حول ...

١٠٢ (٣٧٦/١) : ورد قوله : "قال الأخفش : ولو نصبت كان في القياس جائز" .

الصواب : كان في القياس جائزًا .

١٠٣ (٣٧٦/١) : وقال أيضًا : "وتقول يا قاضي المدينة ، لك أن تنصبهما ، ولك أن ترفع الأول وتنصب الثاني".

في الكلام سقط ، والصواب : وتقول : يا قاضي قاضي المدينة ، ...

١٠٤ (٣٨٥/١) : في باب النفي ، قال : "والوجه الثالث : أن تجعل النعت على الموضع فترفع لأن (لا) وما علمت فيه في موضع اسم مبتدأ، فتقول: لا رجل ظريفٌ ، فتجري ظريف على الموضع

فيكون موضع اسم مبتدأ والخبر محذوف " .
الكلام اعتراه نقص وتحريف ، وسوء ضبط.
والصواب : "أن تجعل النعت على الموضع ، فترفع لأن (لا) وما عملت فيه ، في موضع اسم مبتدأ، فتقول : لا رجل ظريفٌ ، فتجري (ظريف) على الموضع ، فيكون موضع (لا) والاسم مبتدأ ، والخبر محذوف ..." .

*١٠٥ (١/٣٩٢) : أورد ابن السراج قول سيبويه الآتي :
"قال سيبويه : فأما من قال كل نعجة وسخلَتها بدرهم ، فينبغي أن يقول : لا رجلَ لك وأخًا له" .
اعترى كلام سيبويه تحريف ، ونص كلامه : "فأمّا من قال : كلُّ شاةٍ وسخلتها بدرهم ، فإنه ينبغي له أن يقول : لا رجلَ لك وأخاه ، لأنَّه كأنه قال : لا رجلَ لك وأخًا له" (سيبويه ٢/٣٠٠) .

١٠٦ (١/٤٠٤) : قال في الحاشية (١) مر تفسيره ص٤٧٣ .
الصواب : ص٣٨٨ .

١٠٧ (١/٤١٣) : عندما تحدث عن معاني الباء قال : "فأما الذي معه استعانة ، فقولك : كتبت بالقلم ، وعمل الصانع بالقيدوم .
الصواب : بالقدوم .
وفي الحاشية (١) قال المحقق : القيدوم : قيدوم الرجل قادمته .
أقول : واضح من النص أنَّ الذي يعنيه ابن السراج هو القدوم : الآلة المعروفة .

١٠٨ (١/٤١٩) : قال في شرح وجوه استعمال (ربَّ) : والوجه الثالث أن تصلها فتستأنف ما بعدها وتكفها عن العمل .
الصواب : أن تصلها بـ (ما) فتستأنف ما بعدها ...

١٠٩ (١/٤٢١) : قال في مسائل من باب (ربَّ) : "وتقول ربَّ رجل ضربته وزيداً، ورب رجل مررت به، فتعيد الباء ، لأن المضمر المجرور لا ينسق عليه بالاسم الظاهر" .
الكلام مضطرب . والصواب : هو : "... ورب رجلٍ مررت به وبزيدٍ، فتعيد الباء ..." .

١١٠ (١/٤٢٢) : وقال أيضًا : "رب رجل تختصم وامرأة وزيد، ولا يجوز الخفض لأنه لا يتم إلا باثنين ، فإن قلت : رب رجلين مختصين وامرأتين جاز لك الخفض والرفع ..." .
بعض كلمات هذا النص اعتراها تحريف ، والصواب : رب رجل مختصم ... قلت : رب رجلين مختصمين.

١١١ (١/٤٢٢) : وقال أيضًا : "وتقول : ربَّ ضاربك قد رأيت ، ورب شاتمك لقد لقيت ، لأن التنوين في تينك يريد ضارب لك" .
اعترى هذا النص شيء من اضطراب ونقص ، والصواب : ... ورب شاتمك قد لقيت ؛ لأنه نوى التنوين في تينك ، يريد ضارب لك" .

١١٢ (١/٤٢٤) : ورد في باب (حتى) قول ابن السراج : "ولك أن تقول : قام القوم حتى زيدٍ ، جر ، وإن كان في المعنى : جاء ، لأنك انتهيت بالمجيء إليه بحتى" .
سياق الكلام يقتضي أن يكون : جاء القوم حتى زيدٍ ، تجر، ..." .

١١٣ (١/٤٢٤) : وقال أيضًا : "... والأحسن عندي في هذا إذا أردت أن تخبر عن زيد بفعله ، أن تقول : القوم حتى زيدٌ" .
سقطت من النص كلمة ، والصواب : جاء القوم حتى زيدٌ.

١١٤ (١/٤٢٦) : وجاء في الباب نفسه : "إذا قلت : سرت حتى أدخلها ، فالناصب للفعل ها هنا هو الجار للاسم إذا كان غاية ، فالفعل إذا كان غاية منصوب ، والاسم كان غاية جر" .
سقطت من النص كلمة (إذا) ، والصواب: ... والاسم إذا كان غاية جَرٌّ

(انظر سيبويه ٣/ ١٧) .

١١٥ (١/ ٤٣٠) : أنشد ابن السراج بيت أمية بن أبي عائذ:

لله يَبْقى على الأيَّام ذو حَيَد
بِمُشْمَخِرٍّ به الظَّيَّان والآسُ

أثبت المحقق اسم الشاعر أمية بن عائذ ، وأسقط كلمة (أبي) والصواب ما أثبتناه .

(انظر شرح أبيات مغني اللبيب ٤/ ٣٠٠) .

١١٦ (١/ ٤٣١) : قال في باب الأسماء المخفوضة في القسم : "فقولهم أي ها الله" ... وقال "ومن العرب من يقول : أي هَلّه ..." ثم قال : "ويقولون : أي ها الله ذا" وقال أيضًا : "كأنه قال : أي والله للأمر هذا" .

ضبط المحقق (إيْ) في هذه الجمل كلها بفتح الهمزة والصواب بكسرها .

١١٧ (١/ ٤٣٢) : أ – أنشد بيت زهير هكذا :

تَعْلَمَنْ ها لَعَمْر الله ذا قسماً
فاقْصِدُ بذَرْعك وانظر أين تَنْسلكُ

جاء ضبط الكلمتين الأولى والثانية مضطربًا، والضبط الصحيح هو :

تَعَلَّمَنْ ها لَعَمْرُ الله ... (انظر الديوان ١٨٢، وسيبويه ٣/ ٥٠٠) .

ب – وأنشد أيضًا بيت ذي الرمة :

ألا ربَّ مَن قلبي له الله ناصح
ومَنْ قلبه لي في الظباء السوانح

ضبط المحقق (من) الأولى بكسر الميم ، والصواب فتحها .

(انظر ديوان ذي الرمة : مما نسب إليه، ٦٦١).

١١٨ (١/ ٤٣٣) : ورد قول ابن السراج : "وتقول أي الله لأفعلن ومنهم من يقول : أي الله لأفعلن ، فيحرك أي بالفتح لالتقاء الساكنين" .

ضبط المحقق (إي) في المواضع الثلاثة بفتح الهمزة ، والصواب كسرها . أقول : لعل قول ابن السراج : فيحرك أي بالفتح ، أوهمه بفتح الهمزة ، والمقصود هنا – كما هو واضح – فتح ياء (إي) .

١١٩ (١/ ٤٣٧) : في حديثه عن مجيء (عن) حرفًا واسمًا قال : "فقولهم : مَن عن يمينك ، لأن (من) لا تعمل إلا في الأسماء" .

ضبط المحقق (مِنْ) الأولى بفح الميم والصواب بالكسر لأنها حرف جر .

١٢٠ (١/ ٤٣٨) : استشهد بقول خطام المجاشعي :

وصاليات ككما يُؤَثْفَيْنْ

ضبط المحقق الكلمة الأخيرة بهذه الصورة السابقة ، وهو خطأ والصواب : «يُؤَثْفَيْن»

(انظر سيبويه ١/ ٣٢ ، والمقتضب ٢/ ٩٧) .

١٢١ (٢/ ٩) : ورد قول ابن السراج : "ألا ترى أن رجلاً اسمه وهو شاب أو شيخ، لا يجوز أن تقول: زيد الشاب ، فتضيف ، ولا زيد الشيخ".

في هذا النص سقطت كلمة (زيد) .

والصواب : ألا ترى أن رجلاً اسمه زيد وهو شاب أو شيخ ..

١٢٢ (٢/ ١٣) : في مسائل باب إضافة الأسماء إلى الأفعال والجمل ، قال : "ولكن الحمل على المعنى يحسن ، إذا تراخى ما بين الجار والمجرور ، ومن ذلك حمل على جعل الليل سكنًا قول الله عز وجل ﴿وجاعل الليل سكناً﴾ (الأنعام / ٩٦) .

الكلام هنا ملبس ، ولعل الصواب : .. ومن ذلك حمل جاعل على جعل في قول الله عز وجل ﴿وجاعلُ الليل سكناً﴾ .

١٢٣ (٢/ ١٣) : وفي الباب نفسه قال : "ولو قائل قائل : مررت بزيد وعمروٍ لجاز، لأن (بزيد) مفعول، والواصل إليه الفعل بحرف في المعنى كالذي يصل إليه الفعل بذاته، لأن قولك : (مررت بزيد) معناه أتيتُ زيدًا" .

كتابة (عمرو) بهذه الصورة توحي بأن المحقق ضبطها بالكسر، والصواب هو النصب «وعمرًا» لأنه هو المقصود بالمثال .

١٢٤ (١٥/٢) : ورد قول ابن السراج : "قال : - يعني الأخفش - وليس شيء من الأجناس يُثَنّى ويجمع إذا وصف به إلا التمر" .
كلمة (به) مقحمة ، والصواب : وليس شيء من الأجناس يُثَنى ويجمع إذا وصف إلاّ التمر .

١٢٥ (٢٤/٢) : في حديثه عن النعت ، قال : شرح الأول : وهو ما كان حلية للموصوف ، تكون فيه أو في شيء من سببه نحو الحلية : نحو الزرقة والحمرة .
أرى أن عبارة (نحو الحلية) زائدة ، لأنه لا معنى لها .

١٢٦ (٣١/٢) : في حديثه عن وصف النكرة بالجمل قال : "والنكرة توصف بالجمل والمبتدأ والخبر والفعل والفاعل" .
الصواب : والنكرة توصف بالجمل : بالمبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل .

١٢٧ (٣١/٢) : وقال أيضًا : "وتقول : مررت برجلٍ قائمٌ أبوه ، فهذا موصوف بفعل وفاعل" لعل الصواب : مررت برجلٍ قام أبوه .

١٢٨ (٤١/٢) : ورد قوله : "واعلم : أنه لا يجوز أن تجيز وصف المعرفة والنكرة" .
الصواب : ... وصف المعرفة بالنكرة .

١٢٩ (٥٢/٢) : في حديثه عن كون الظرف للفعل أو لغيره، قال : "ونحو هذا ما جاء في الخبر ، كتب عمر إلى أبي عبيدة بالشام : الغوث ، الغوثَ ، وأبوعبيدة وعمر - رحمه الله - كتب إليه من الحجاز، فالكتاب لم يكن بالشام" .
النص غير مستقيم ومرد ذلك إلى سقوط كلمة على ما أرى ، ولعله يستقيم لو قال : ... كتب عمر إلى أبي عبيدة بالشام ؛ الغوث ، الغوث ، وأبوعبيدة بالشام ، وعمر - رحمه الله - كتب إليه من الحجاز ، فالكتاب لم يكن بالشام .

١٣٠ (٦٢/٢) : في حديثه عن الجمل التي لها موقع من الإعراب ، قال : "الضرب الثاني : الجملة موقع اسم مفرد، نحو قولك : زيدٌ أبوه قائم" .
في الكلام سقط ، والصواب : الجملة الواقعة موقع اسم مفرد .

١٣١ (٦٣/٢) : عندما تحدث عن أفضلية تقديم الخبر المفرد على الخبر الجملة ، قال : "فإذا قلت : زيدٌ أبوه قائم ، وكريم لزيد لم يحسن لأنه ملبس" .
الكلام مضطرب ، ومبهم . ويتضح لو قال : "فإذا قلت : زيدٌ أبوه قائم وكريم ، وجعلت كريمًا خبرًا لزيد ، لم يحسن لأنه ملبس" .

١٣٢ (٦٤/٢) : في شرحه للعطف على اللفظ والموضع ، ورد قوله : "فإذا تمَّ الكلام فلك العطف على اللفظ والموضع جميعًا ، وإذا لم يتم لم يجز إلاّ اللفظ فقط" .
سقط من النص حرف الجر (على) والصواب: ... وإذا لم يتم لم يجز إلاّ على اللفظ فقط .

١٣٣ (٦٦/٢) : وفي حديثه عن العطف على الأسماء المركبة ، ورد قوله : "تقول : إن خمسة عشر درهمًا ، ويكفيك خمسةُ دنانير ، وخمسةُ دنانير ، النصب على (إن)، والرفع على موضع (إنَّ)".
العبارة مبهمة وغير مستقيمة ، ولا يُعرف المراد منها ، ولعل الإبهام يزول ، لو قال : إنَّ خمسةَ عشرَ درهمًا وخمسةَ دنانير أو (خمسةُ دنانير) تكفيك ، النصب على (إنَّ) والرفع على موضع (إنَّ) .

١٣٤ (٦٩/٢) : في باب العطف على عاملين ، قال : "... إذا قلت مررت بزيدٍ وعمرو ، فالواو جرَّت ، كما جرت الباء ، فلو عطفت على عاملين ، أحدهما يرفع والآخر ينصب ، لكنت قد أحلت ، لأنها كان تكون رافعة ناصبة في حال" .
كلمة (كان) مقحمة في النص ، والصواب : لأنها تكون رافعة ناصبة في حال .

١٣٥ (٧١/٢) : أنشد بيت جرير :

إذا بعضُ السِّنينَ تَعَرَّقَتْنا
كَفَى الأيْتَامَ فَقْدَ أبي اليتيم

ضبط المحقق كلمة (السنين) بالكسر والصواب بالفتح . انظر (سيبويه ١/٥٢) .

١٣٦ (٧٥/٢) : ورد قول ابن السراج : "ولو كان الذي أجاز العطف على عاملين أي شاهد عليه بلفظ غير مكرر، نحو :« إنّ في الدار زيداً والمسجدَ عمراً » وعمروٌ غير زيدٍ لكان ذلك شاهداً" .

في النص تحريف وسوء ضبط ، والصواب هو : ولو كان للذي أجاز ... وكلمة المسجد ضبطها المحقق بالفتح والصواب بالكسر .

١٣٧ (٧٨/٢) : ورد قوله: "تقول : زيدٌ قام أمسِ ولم يقعد، ولا يجوز : زيد قام ويقعد ، وإنّما جاز مع لم لأنها مع عملت فيه في معنى الماضي".

الصواب : لأنها مع ما عملت فيه في معنى الماضي .

١٣٨ (٧٩/٢) : في حديثه عن عطف الظاهر على المكني المتصل المرفوع، قال : "فإن فصلت بين الضمير وبين المعطوف بشيء حسن، نحو : ما قمتُ ولا عمرٌ ويجوز أن تعطف بغير تأكيد".

الواو قبل يجوز زائدة ، ويستقيم الكلام بحذفها .

١٣٩ (٨١/٢) : في الحديث عن العلم الممنوع من الصرف لوزن الفعل ، قال : "... وكذلك إن سميته (بقاما) ، قلت : هذا قاما ، ورأيت قاما ، ومررت بقاما ، وهذه قاموا ، ورأيت قاموا ، ومررت بقاموا" .

الكلام اعتراه نقص فجعله مضطربًا ولعله يستقيم لو قال : "... وإن سميت امرأة بقاموا ، قلت : هذه قاموا ..." .

١٤٠ (٨٤/٢) : ورد قوله : "وكذلك إن سميت مذكرًا باسم مؤنث لا علامة فيه ولم تصرفه نحو رجل سميته بعناق وسعاد" .

الكلام على هذه الصورة لا يستقيم ، ومرد ذلك إلى زيادة الواو قبل (لم) وبحذفها يستقيم .

١٤١ (٨٨/٢) : عندما تحدث عن العدل المانع من الصرف، قال : "وسيبويه يذكر أنه لم ينصرف لأنّه معدول وأنّه صفة ، ولو قال قائل : إنّه لم ينصرف لأنّه عُدل في اللفظ والمعنى جميعًا، وجعل ذلك لكان قولاً" .

في النص سَقْطٌ جعل الكلام قاصرًا عن مراده ، ولعل الصواب : ... وجعل ذلك علتين لكان قولاً .

١٤٢ (١٠١/٢) : ورد قول ابن السراج : "فأما أسماء الأحياء، فمعَدٌّ ، وقريش ، وثقيف ، وكل شيء لا يجوز لك أن تقول فيه من بني فلان، وإذا قالوا هذه ثقيف ، فإنما أرادوا جماعة ثقيف" .

في النص سقط لا يستقيم معه الكلام، والصواب كما في كتاب سيبويه (٢٥٠/٣) : ... وكل شيء لا يجوز لك أن تقول فيه من بني فلان ، فإنما جعله اسم حي ...

١٤٣ (١٠٦/٢) : في حديثه عن التسمية بالتثنية والجمع ، قال : "وإن بجمع مؤنث قلت : هذه مسلمات".

الصواب : وإن سميت بجمع مؤنث ..

١٤٤ (١٠٩/٢) : في باب ما لا يجوز أن يحكي قال : "وإن سميت كلمة بتحت أو خلف أو فوق لم تصرفها لأنها مذكرات ، يدل على تذكيرها تحت وخليف .. " .

اعترى هذا النص شيء من زيادة وبعض تحريف ، فلفظة (كلمة) زائدة يجب حذفها ، إذ لا معنى لها . وكلمة تحت صوابها تُحيت بالتصغير ؛ لأن التصغير هو المراد هنا .

١٤٥ (١٢١/٢-١٢٢) : في حديثه عن نون الوقاية ، قال : "فإذا جاؤوا بالاسم لم يحتاجوا إلى النون فقالوا : الضاربي في النصب واستحسنوا الكسرة في الباء، موضع لأنه يدخله الجر" .

العبارة الأخيرة مضطربة ومتداخلة ، وصوابها : ... لأنه موضع يدخله الجر" .

١٤٦ (١٢٤/٢) : ورد قول ابن السراج : "واعلم أن الذي حكيُ من قولهم : لولاي ولولا شيء شذ عن القياس" .

الصواب:... لولاي ولولاك شيء شذ عن القياس .

١٤٧ (١٣٦/٢) : في الحديث عن بناء (كيف) قال : "وهي مبنية على الفتح ، لأن قبل الياء فاءً" .
الصواب : قبل الفاء ياءً .

١٤٨ (١٥١/٢) : في حديثه عن (حتى) قال : "وارتفاع الفعل بعدها على وجهين : ... فأما الوجه الأول فنحو قولك : سرتُ حتى أدخلَها ... سرت فأنا أدخلَها" .
ضبط المحقق (أدخلَها) بالفتح ، والصواب بالضم ، لأن الحديث عنه . ومثل ذلك فعل في ص١٥٣ .

١٤٩ (١٥٣/٢) : في شرح الفاء ، قال : "وإذا قلت : ما يقومُ فيتحدثَ ، فقد عطفت فعلاً منفيًا على منفي" .
الصواب: فقد عطفت فعلاً موجبًا على منفي.

١٥٠ (١٧٣/٢) : استشهد بقول الشاعر :
أجِرَه الرُّمْحَ ولاتَها لَهْ
ضبط المحقق (أجره) هكذا : أجِره ، وهو وهم والصواب : (أجِـرَّه) . (انظر سر الصناعة لابن جني ٨١/١).

١٥١ (١٨١/٢) : ورد قول ابن السراج : "ألا تراهم في النفي كما قالوا : لا أبا لك ، فأضافوا إلى المعرفة ، أقحموا اللام ليشبه النكرة" .
الصواب : لَما قالوا .

١٥٢ (١٨٧/٢) : في فصل من مسائل المجازاة ، قال : "واعلم أنَّه لا يجوز الجواب بالواو ، ولو قلت: من يخرجُ الدلو له درهمان ، رفعت يخرج ، وصار استفهامًا" سقطت الواو من النص ، والصواب : من يخرجُ الدلو وله درهمان ؟

١٥٣ (١٨٧/٢) : وفي الباب نفسه قال : "وإن توصل (بما) فتقول : أمًّا تقم أقم ، تدغم النون في الميم وتوصل (بلا) تقول : ألا تقم أقم" .
في النص سوء ضبط ، مع عدم الدقة في استعمال الأقواس ، والصواب : و(إنْ) توصل بـ (ما) فتقول : إمّا تقم أقمْ ، تدغم النون في الميم ، وتوصل بـ(لا) ، تقول : إلاّ تقم أقم .

١٥٤ (١٩٤/٢) : أنشد البيت التالي :
وماذاك أن كان ابن عمي ولا أخي
ولكن متى ما أملكُ الضُّرَّ أنفعُ
ضبط المحقق الفعل (أملك) بالضم ، والصواب جزمه ، وتحريكه بالكسر لالتقاء الساكنين (انظر سيبويه ٧٨/٣) .

١٥٥ (١٩٧/٢) : ورد قوله : "وكذلك (كم) لم يجازوا بها ، لأن جوابها لا يكون نكرة" .
الصواب : .. لا يكون إلا نكرة .

١٥٦ (٢٠٠/٢) : في حديثه عن نون التوكيد الثقيلة ، قال: "ومن مواضعها حروف الجزاء إذا أوقعت بينها وبين الفعل (ما) للتوكيد ، تقول : إمًّا تأتني آتك ، ... وقد أدخلت في المجزوم تشبيهًا به الجزم .
اعترى النص تحريف ، والصواب : إمَّا تأتينِّي آتك ... تشبيهًا له بالشرط .

١٥٧ (٢٠٨/٢) : وفي الموضوع نفسه قال : "فإن أدخلتها على (تضربين) حذفت أيضًا النون لاجتماع النونات ... وحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، فقلت : هل تضربين" .
الصواب : هل تضرِبِنَّ .

١٥٨ (٢٢٣/٢) : في شرح الصلة قال : "... فالذي توصل بأربعة أشياء ، بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر ، وجوابه والظرف" .
سقطت من النص كلمة (والشرط) .
والصواب : والشرط وجوابه .

١٥٩ (٢٤٨/٢) : في ذكر ما يعرض من الإضمار والإظهار ، قال : "وزعم يونس : أن من العرب من يقول : (إنْ لا صالحٌ فطالحٌ) على إنْ لا أكن مررت بصالحٍ فطالحٌ" .
ضبط المحقق (إنْ لا صالح فطالح) بالضم والصواب بالكسر لأنه هو المقصود بالرواية

(انظر سيبويه ١/٢٦٢) .

١٦٠ (٢/٢٥١) : أورد قول الخليل : إنه سمع أعرابيًا يقول: "إذا بلغ الستين فإياه وإيا الشواب" .
أقول : سقطت كلمة (الرجل) من هذا القول، والرواية هي : إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب . (انظر سيبويه ١/٢٧٩ ، وسر الصناعة ١/٣١٣) .

١٦١ (٢/٢٥١) : عندما شرح المثال : "ما شأنك وزيدًا " قال: "كأنه قال : (وما شأنك وملابسةَ زيدًا) ضبط المحقق كلمة (ملابسة) بفتحة واحدة ، وعلى هذا الضبط لا يستقيم الكلام . والصواب هو : ضبطها بتنوين الرفع ، هكذا وما شأنُك وملابسةٌ زيدًا . وقد جاء في سيبويه (١/٣٠٩) ما نصه : "فإذا أضمرت فكأنّك قلت : ما شأنك وملابسةٌ زيدًا ، أو وملابستُك زيدًا" .

١٦٢ (٢/٢٥٣) : ورد المثال التالي : "أخذته فصاعدًا وبدرهم فزائدًا" .
أقول المثال ناقص ، وصوابه : أخذته بدرهم فصاعدًا (انظر سيبويه ١/٢٩٠) .

١٦٣ (٢/٢٥٥) : في باب الاتساع استشهد بالآية الكريمة: ﴿واسأل القرية﴾ (يوسف/٨٢) إلاّ أنها رسمت خطأ هكذا (سل القرية) .

١٦٤ (٢/٢٦٥) : في حديثه عن (أل) اسمًا موصولاً ، قال: "فيقولون في موضع الذي قام : القائم فالألف واللام قد صار اسمًا" .
الصواب : قد صارا اسمًا .

١٦٥ (٢/٢٧٢) : ورد قول ابن السراج : "واعلم أنه إذا كان صلة (الذي) فعلاً جاز أن يدخل الفاء في الخبر نحو (قام فله درهم) .
المثال كما هو واضح سقطت من أوله كلمة (الذي) .

١٦٦ (٢/٢٨٧) : في كلامه على الفعل الذي بني للمفعول ، قال : "فإن قلت : (أعطي زيدٌ درهمًا) فأخبرت عن (زيد) قلت: "أعطي درهمًا زيدٌ". المثال الأخير سقطت من أوله كلمة (الذي) .
ثم قال : وإن أخبرت عن الدرهم قلت : (الذي أعطي زيدٌ درهمٌ) ... ولك أن تقول : (أعطي زيدٌ إيّاه درهم) .
أيضًا سقطت من المثال الأخير كلمة (الذي).

١٦٧ (٢/٢٩١) : في حديثه عن الظروف قال : "وهذه الظروف منها ما يكن اسمًا وظرفًا" .
الصواب : منها ما يكون اسمًا وظرفًا .

١٦٨ (٢/٢٩٢) : شرح كلامه السابق فقال : "فالذي يكون (منه) ظرفًا واسمًا (ضمّ) اليومُ والليلةُ والسنةُ والعامُ والساعةُ ونحو ذلك" .
النص هنا اعتراه خلل في صياغة عبارته ، وقد وضع المحقق كلمتي (منه) و(ضمّ) بين قوسين ، وأشار في الحاشيتين (٤) و (٥) أنهما زيادة من النسخة (ب) ، ولعل هذا هو مبعث الخلل ، لأنه على ما يبدو لُفِّق النص من نسختين دون أن يُوفِّق المحقق بينهما . فكلمة (منه) إن أُثبتت ، فيجب أن تكون العبارة : فالذي يكون منه ظرف واسم ... وإن حذفت فتصبح العبارة : فالذي يكون ظرفًا واسمًا ..
أما كلمة (ضم) فأراها مقحمة لا معنى لها.

١٦٩ (٢/٢٩٣ – ٢٩٤) : في تحليله للمثال : "الذي ذهبتُ اليومَ" قال : "تريد الذي ذهبتُه اليوم ، وإن شئت أظهرت الهاء وهو الأصل ، وإثباتها عندي في هذا أولى منه في ضربت : لأن هنا حرف الجر محذوف والهاء معه إخلال بالكلام" . سقطت من العبارة الأخيرة كلمة، والصواب : لأن هنا حرف الجر محذوف ، وحذف الهاء معه إخلال بالكلام .

١٧٠ (٢/٢٩٨) : في شرح الإخبار عن المصدر ورد قوله : "وإذا قلت: «تبسمتُ وميض البرق» قلت المتبسمة أنا وميض البرق ، وقد قال قوم : إن وميض البرق ينتصب على (فعل) غير تبسمت".

كلمة (تبسمت) هنا لا معنى لها وأرى أنها تصحيف لكلمة شِمْتُ ، ورد في القاموس المحيط (شيم) : شام البرق : نظر إليه أين يقصد ، وأين يمطر ، وعلى هذا يكون النص كالآتي : "وإذا قلت : "شِمْتُ وميض البرق" قلت : المُتَشيِّمُهُ أنا وميض البرق ، وقد قال قوم : إن وميض البرق ينتصب على (فعل) غير شِمْتُ" .

١٧١ (٢/ ٣١٠) : ورد قوله : وقد يضطر الشاعر فيجيء بالشيء على المعنى ، فيكون ذلك جائز" .
الصواب : فيكون ذلك جائزًا .

١٧٢ (٢/٣٣٣) : أورد المثال التالي : "زيد الذي كان أبوه راغبين فيه" .
الصواب : ... كان أبواه راغبين فيه .

١٧٣ (٢/٣٥٠) : ورد قول ابن السراج : "... وتقول الذين كلمت عامة أخوتك" ، تريد "الذين كلمتهم عامة أخوتك" والذين كلمت جميعًا (١) أخوتك مثله تنصب «عامة» و(جميعًا) (٢) نصب الحال" .
وقال المحقق في الحاشية (١) : بعد جميعًا ، ساقط من (ب) مقدار صفحة واحدة على الأقل ، ثم قال في الحاشية (٢) : زيادة من (ب) أقول : كيف تكون زيادة من (ب)، وهذا الكلام ساقط من (ب) كما في الحاشية (١).

١٧٤ (٢/٣٥٥) : ورد قول ابن السراج : "ولا يجيزون : «الذي مَنْ قامَ زيدٌ» على اللغو ويحتجون بأنَّ (من) تكون معرفة ونكرة ، مررت بالذي القائم أبوه" .
الكلام هنا فيه قطع ، والصواب : ويجيزون مررت بالذي القائم أبوه .

١٧٥ (٢/٣٦٣) : قال في ذكر ما يحرك من السواكن في أواخر الكلم : "ألا ترى أن الذال في مذ واليوم في ذهبتم لما لقيها الألف واللام احتيج إلى تحريكها لالتقاء الساكنين ردّ إلى الأصل" .
الكلام في بدايته مبهم ، ويزول إبهامه لو قال: ألا ترى أن الذال في مذ والميم في ذهبتم ...

١٧٦ (٢/٣٦٤) : أنشد بيت امرئ القيس :

فاليومَ أشربْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ
إثمًا من اللّهِ ولا واغـلِ

ضبط المحقق كلمة (مستحقب) بفتح القاف والصواب كسرها . (انظر الديوان ١٢٢ ، وسيبويه ٢٠٤/٤ والخصائص ٧٤/١) .

١٧٧ (٢/٣٦٥) : ورد قول ابن السراج : "والذين يقولون في (عَضُد) (عَضْدٌ) وفي (فَخِذ) (فَخْذ) إنما يفعلون هذا إذا كانت العين مكسورة أو مضمومة فإذا انفتحت لم يسكنوا" .
في الكلام سقط وسوء ضبط . والصواب : والذين يقولون في (عَضُدٍ) : (عَضْدٌ)، وفي (فَخِذ) : (فَخْذٌ) ...

١٧٨ (٢/٣٦٨) : في حديثه عن ألف الوصل، قال : "تقول: انطلقت انطلاقًا وحمررتُ احمرارًا ... واشتهابيت اشهيبابًا" .
في هذا الكلام تحريف ، والصواب : ... واحمررت احمرارًا ... واشهاببت اشهيبابًا .

١٧٩ (٢/٣٧٦) : أورد الآية الكريمة : ﴿والليل إذا يسر﴾ (الفجر / ٤) .
ورُسمت الكلمة الأخيرة هكذا (يَسْرِي) بثبوت الياء ، وهذا مخالف لرسم المصحف أولاً ، ومخالف لموضع الاستشهاد ثانيًا ، إذ إنه أورد الآية على الحذف في الفواصل .

١٨٠ (٢/٣٨٥) : أنشد البيت المنسوب إلى امرئ القيس ، وإلى يزيد بن الطثرية :

فبتنا نَحيد الوحشَ عنَّا كأنَّما
قتيلان لم يعلم لنا الناسُ مصرعا

في هذا البيت خلل في روايته وضبطه ، والرواية الصحيحة.

فبتنَا تَحيدُ الوحشُ عنَّا كأننا
قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا

(انظر سيبويه ٤/٢٠٥، وانظر ديوان امرئ القيس ٢٤٢، وشعر يزيد بن الطثرية ٨٣) .
وفي هذه الصفحة خطأ في ترقيم الحواشي ؛ إذ رُقمت الحاشيتين (١) و(٢) هكذا (٤) و(٥).

١٨١ (٢/٣٨٧) : أنشد بيت العجاج :

يا صاح ما هاج الدموعَ الذُّرَّفَنْ

ضبط المحقق الكلمة الأخيرة هكذا (الذُّرفَنَّ). والصواب : كما أثبتناه . انظر سيبويه (٤/٢٠٧) .

١٨٢ (٢/٣٩٩) : في ذكر تخفيف الهمز ، قال : "وفي أُفَيْئِس تصغير أفْأسٍ أُفَيِّسٌ" .
الصواب : ... تصغير أفْؤُس ... انظر سر الصناعة (٢/٧٣٨) .

١٨٣ (٢/٤٠١) : في باب ذكر الهمزة المتحركة ، قال : "فإنْ كانت وقبلها فتحة جعلت بين بين" .
الصواب: فإن كانت مفتوحة وقبلها فتحة ...

١٨٤ (٢/٤٠٨) : أورد الآية الكريمة : ﴿كأنَّهم أعجاز نخل خاوية﴾ (الحاقة / ٧)
حُرِّف رسم الكلمة الأخيرة فرسمت هكذا (خلوية) .

١٨٥ (٢/٤٢٢) : في باب جمع الرجال والنساء ، قال : "ولا يجوز في أمة أماتٌ ولا شفات" .
في النص سقط وسوء ضبط ، والصواب : "ولا يجوز في أمةٍ أمَاتٌ ، ولا في شَفَةٍ شَفَاتٌ" . انظر سيبويه (٣/٤٠١) .

١٨٦ (٢/٤٤٦) : ورد قول ابن السراج : "اعلم أن ما كان أصله (فَعْلاً) كسر على (أفعل) نحو : يدٍ وأيدٍ ، وفي الكثير على (فِعَال) و(فُعول) وذلك: دماءٌ مدُميٌّ" .
اعترى الكلمة الأخيرة تحريف ، والصواب : دماءٌ ودُميٌّ .

١٨٧ (٣/٥) : "باب تكسير ما عدة حروفه بالزيادة أربعة أحرف للجمع" كان آخر باب في الجزء الثاني من الكتاب ص٤٤٨ – ٤٥٠ . وقد كرر هنا في أول الجزء الثالث ص٥ – ٧ .

١٨٨ (٣/١٢) : استشهد ابن السراج بشطر بيت للفرزدق هو:

نفي الدراهم تنقاد الصياريف

ضبط المحقق الكلمة الأخيرة بالضم والصواب كسرها لأنها مضاف إليه .

١٨٩ (٣/١٩) : ورد قوله "وفعيل إذا كان بمعنى فُعُول فهو في المذكر والمؤنث سواء" .
الصواب : وفعيل إذا كان بمعنى مفعول ...

١٩٠ (٣/٢٠) : الحاشية (١) يجب أن تكون في الصفحة السابقة .

١٩١ (٣/٤٢) : ورد قول ابن السراج : "وإذا جاء شيء على مثال : سرحان ولم تعلم العربُ كسرته في الجمع، فتحقيره كتحقير سكران" .
ضبط المحقق كلمة (العرب) بضم الباء وسياق الكلام يقتضي فتحها .

١٩٢ (٣/٦٥) : في باب النسب ورد قوله : "فإن كان ما قبل الياء والواو حرف ساكنٌ قلبت في ظبي: ظبيٌ" .
اعترى النص هنا تحريف ، والصواب : ... قلْتَ في ظبي : ظبييٌّ .

١٩٣ (٣/٩٠) : في حديثه عن صيغة (فِعال) ، قال : "الثاني من فِعال وهو لما كان انتهاء الزمان. نحو : الصِّرام والجزار والحصاد" .
وقال المحقق في الحاشية (١٠) : الجزار : جزر .. واجتزز الشاة : ذبحها . أرى أن هذا تحريف ، والصواب (الجزاز) بالزاي .
ففي القاموس المحيط (جزز) : وأجزَّ القوم : حان جزاز غنمهم ، وفي المصباح المنير (جزز) : جززت الصوف جزّاً قطعته .

١٩٤ (٣/١٠٢) : في باب : فَعَل ، يَفْعَلُ من حروف الحلق، قال : " ... قَرَأَ ، يَقْرأ ، وَوَجَبَهُ يَجْبَهُ" .
وقال المحقق في الحاشية : وجبه : قال

في القاموس المحيط وجبه كمنعه ضرب جبهته وردّه".

أقول : إن (وَجَبَهُ) تحريف للفعل جَبَهَ ، وصواب النص : "قَرَأَ يَقْرأ ، وَجَبَهَ يَجْبَهُ" .

١٩٥ (١٠٨/٣) : قال : "يحذف الواو في (يَعُدُ) لوقوعها بين ياء وكسرة" .

ضُبط الفعل (يعد) خطأ : والصواب (يَعِدُ) .

١٩٦ (١١٠/٣) : في الكلام على مصدري الهيئة والمرة ، قال : "أحدهما (فِعْلَة) يراد بها ضربٌ من الفعل ، (فِعْلَةٌ) يراد بها المرة" .

في النص اضطراب مصدره سقط وسوء ضبط ، والصواب : أحدهما فِعْلَة ... وثانيهما (فَعْلَة) يراد بها المرة" .

١٩٧ (١٣٨/٣) : استشهد ببيت لحُمَيد الهلالي غير أن المحقق ضبط اسم الشاعر هكذا (حَميد) والصواب : (حُمَيْد) ، (انظر الأغاني ٣٥٦/٤) .

١٩٨ (١٨٧/٣) : قال المحقق في الحاشية (١٠) : لم يذكر ابن السراج بناء (فَعائل) نحو حطائط وجرائض .

أقول : إن ابن السراج ذكر هذين اللفظين بعد ثلاث صفحات ، أي في الصفحة ١٩٠ ووزنهما (فُعائل) بضم الفاء وقد ضبطهما المحقق هكذا في الصفحة ١٩٠ .

١٩٩ (٢٤٧/٣) : في إبدال الألف من الياء ، قال : "وأما فَعُل ، فلا يكون فيما لامه ياء، ويكون لامه واو" .

الصواب : ... ويكون فيما لامه واو .

٢٠٠ (٢٥٤/٣) : ورد قول ابن السراج : "إبدال الهاء من الواو وهي فاء" .

والصواب : إبدال الياء من الواو وهي فاء .

٢٠١ (٢٥٨/٣) : في جوابه عن قلب الواو ياء في تغازينا ويتغازى ، قال : "إنّ الأصل كان قبل دخول التاء في (تغازينا) غازينا ، نغازي فاعل غازي ، من أجل اعتلال يغازي" .

الكلام هنا مُضْطَرِب . وصوابه : (... فاعل «غازينا» من أجل اعتلال «نغازي») .

٢٠٢ (٢٦١/٣) : في إبدال الياء من الألف ، قال : "وتبدل في لغة بعض العرب طيئ وغيرهم ، يقولون: أفْعىً وحُبْلىً" .

اعترى النص بعض تحريف وسوء ضبط ، والصواب : ... كطيِّئ وغيرهم يقولون : أفْعَيْ وحُبْلَي . (انظر سيبويه ١٨١/٤) .

وأقول : إن هذا الكلام يحتاج إلى تفصيل ؛ فطيِّئ يبدلونها في الوقف والوصل ، أما فزارة وناس من قيس فإنهم يبدلونها في الوقف فقط . (انظر سيبويه ١٨١/٤) .

٢٠٣ (٢٦٣/٣) : في إبدال الياء من الواو ، قال : "ومن ذلك : مَقْضيٌّ ومَرْمِيٌّ ، إنما هو مفعول ، وكان القياس ، أن تقول : مَقْضويٌّ ومرمويٌّ" .

أقول : يجب أن تكون الكلمتان الأخيرتان دون تشديد الياء ، هكذا: مَقْضُوْيٌ ومَرْمُوْيٌ.

٢٠٤ (٢٦٤/٣) : ورد قول ابن السراج : "وكلهم يقولون في (ديوان) دواوين في الجمع ودُيَيْوِينٌ في التصغير" .

الصواب هو : ... ودُوَيْوِينٌ في التصغير .

٢٠٥ (٢٧١/٣) : في إبدال الطاء ، قال : "الطاء تبدل من التاء في (افْتَعَل) إذا كان قبلها طاءٌ أو ضادٌ ود ... قولهم" .

الصواب : ... إذا كان قبلها طاء أو ضاد أو ظاء ، وذلك قولهم ...

٢٠٦ (٢٧٨/٣) : في الحديث عن التحويل والنقل ، قال : "فإذا قلت : فَعَلْتُ ، نَقَلْت ما كان من بنات الواو إلى (فَعُلْت) وما كان من بنات الياء

إلى (فَعِلْتُ) ثم حولت الضمة في (فَعُلْت) من: قلت إلى الفاء ومن : بعت إلى الفاء .
النص هنا اعتراه اضطراب وسقط في نهايته.
والصواب هو : ... ثم حولت الضمة في (فَعُلْت) من العين إلى الفاء ، وحولت الكسرة في (فَعِلت) من العين إلى الفاء .

٢٠٧ (٣٠٣/٣) ورد قول ابن السراج : "فإن كانت الياء بعد حرف مفتوح وهي ساكنة لم تعل إلا في لغة من قال : في يَيْأس يَيْئِسُ وفي يَوْجَل، يَاجَلُ".
الصواب : ... من قال في يَيْأسُ : ياءَسُ (انظر سر الصناعة ٦٦٧/٢ – ٦٦٨) .
ثم قال : "وإن كانت الياء الساكنة بعد حرف مضموم قلبت واوًا وإن بعدت من الطرف ، وإن قربت أبدلت الضمة كسرة" .
الصواب :... قلبت واوًا إن بعدت من الطرف.

٢٠٨ (٣٢٤/٣) : ورد قول ابن السراج : "فأمّا حِرُ المرأة فتقديره (فِعْل) لقولهم : أفعال في جمعه" .
وشرح المحقق كلمة (حِرُ) ، فقال في الحاشية (٦) : حر المرأة : ما بدا من وجنتها .
أقول : حِرُ المرأة : فرجها . وأصله (حِرْحٌ) أما ما بدا من وجنتها فهو حُرُّ بالضم .
انظر القاموس المحيط (حرر وحرح) .

٢٠٩ (٣٧١/٣) : ورد قول ابن السراج : ومن قال خُطُوات بالتثقيل، فإن قياس ذلك أن تقول في (كُلْيَة) : كُلُوات، ولكنهم لم يتكلموا إلا بكُلْيات مخففة".
الصواب :... أن تقول في كُلْية : كُلَيَات .

٢١٠ (٣٧٩/٣) : الحاشية (٨) يجب أن تنقل إلى الصفحة السابقة (٣٧٨) .

٢١١ (٣٨٠/٣) : أ – ورد قول ابن السراج : "فقالوا ميزان ، والأصل مُوَازِنٌ لأنه من الوزن" .
الصواب : موْزان
ب – وقال : "والهمزتان إذا اجتمعتا في كلمة ، فحق الثانية أن تُبْدل فتقول في : أنا أفعلُ ، من أقمْتُ : أنا أؤمُّ الناس" .
الصواب : أنا أوَمُّ الناس . (انظر اللسان «أمم») .
جـ – وقال أيضًا : "وكذلك (أيِّمة) كان أصله: أأمِمَةٌ " .
الصواب : كان أصله : أأمِمَةٌ . انظر اللسان (أمم) .

٢١٢ (٤٠١/٣) : الحاشية (١) لا ضرورة لها ؛ لأن المؤلف وضَّح المقصود بالأحرف المجهورة في المتن.

٢١٣ (٤٤١/٣) : أنشد بيتًا لقَعْنَب بن أم صاحب .
إلاَّ أن الاسم صحف ، فرسم هكذا (مَعْنب).
انظر شرح أبيات المغني ١٠٢/٨ .

٢١٤ (٤٥٢/٣) : أ – أنشد قول منظور بن مرشد الأسدي:

إن تَنْجَلي يا جُمْلُ أو تَعْتَلّي

الصواب : إن تبخلي. انظر نوادر أبي زيد ٥٣.
ب – وأنشد له أيضًا :

كأن مَهْواها على الكَلْكَلِّ
موضع كفَّيْ راهب يصلب

الصواب : موضع كَفَّيْ . (انظر نوادر أبي زيد ٥٣ ، وسر الصناعة ١٦٢/١) .

الخاتمة

هذا مجمل التعاليق التي دونتها على كتاب الأصول في النحو لابن السراج ، إسهام مني – مع من أسهم – في خدمة هذا السفر العظيم .

وقد توخيت فيها – قدر الإمكان والطاقة – الدقة والشمول ، مؤملاً أن أكون قد وافقت فيها الصواب ، وتجنبت الزلل والخطل . ولعل هذه التعاليق جلت عن هذا الكتاب بعض ما اعتوره من تصحيف وتحريف وسوء طبع.

ومع ذلك فلابد من إعادة تحقيق هذا الكتاب تحقيقًا يخرجه بصورة تكون أقرب إلى ما أراده ، وقصد إليه مؤلفه – رحمه الله – . ولعل قابل الأيَّام تسعف بهذا . والله الموفق.

الهوامش

١ - انظر ترجمته في: **طبقات النحويين واللغويين** ١١٤، ومعجم **الأدباء** ١٨/١٩٨، **وإنباه الرواة** ٣/١٤٥ وغيرها من كتب التراجم.

٢ - ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٨/١٩٨.

٣ - أغفلت - خوف الإطالة - كثيرًا من الأخطاء المطبعية التي لا تخفى على القارئ النبيه.

٤ - ورد في القاموس المحيط (رجن): وَرَجَنَت الإبل وغيرها ألفت.

المصادر والمراجع

أولاً - الكتب:

١ - امرؤ القيس: **ديوان امرئ القيس**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٥، ١٩٦٦م.

٢ - البغدادي: **شرح أبيات مغني اللبيب**، صنعة عبدالقادر البغدادي، حققه عبدالعزيز رباح، وأحمد يوسف دقاق: دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣ - ابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

------: **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط٢.

٤ - الحموي، **معجم الأدباء**، لياقوت الحموي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥ - أبو حيان، **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، مطبعة السعادة بمصر، ط١.

٦ - زهير بن أبي سلمى، **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

٧ - أبو زيد الأنصاري، **النوادر في اللغة**، لأبي زيد الأنصاري، تعاليق سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.

٨ - ذو الرمة، **ديوان ذي الرمة**، تحقيق عبدالقدوس أبوصالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٢م.

------: **ديوان شعر ذي الرمة**، عني بتصحيحه كارليل هنري هيس مكارتني، مطبعة كلية كمبريج، ١٩١٩م.

٩ - ابن السراج، **الأصول في النحو**، لأبي بكر بن السراج، تحقيق عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

١٠- ابن السيرافي، **شرح أبيات سيبويه**، لابن السيرافي، تحقيق محمد علي سلطاني، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٩٧٩م.

١١- سيبويه، **كتاب سيبويه**، تحقيق عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت.

١٢- الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

١٣- الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٤- الفيومي، **المصباح المنير** للفيومي.

١٥- المبرد، **المقتضب** لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

ثانيًا - المجلات:

١ - **البصائر**، مجلة فصلية تبحث في التراث الشرقي، تصدر عن الاتحاد الثقافي في فرنسا، العدد١٧.

٢ - **مجلة مجمع اللغة العربية** في الأردن، العدد ٣٥، ١٩٨٨م.

رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته لمحمد خليفة حسن

سمير عبدالحميد إبراهيم

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

حسن ، محمد خليفة / رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته .- ط١ .- القاهرة : المؤلف ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

صدر كتاب «رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته» لمحمد خليفة حسن ، الأستاذ بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب ، جامعة القاهرة العام قبل الماضي ١٤١٦هـ في القاهرة ، والكتاب كما ذكر مؤلفه «محاولة» لوضع رؤية عربية لتاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته في مواجهة الرؤى الأجنبية الوافدة التي شكلت تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته على هواها ووفق مصالحها وأيديولوجياتها .

والمؤلف يدعو المهتمين والمتخصصين في التاريخ القديم إلى ضرورة التعاون لمواجهة النظريات الغربية عموماً والنظرية اليهودية الصهيونية على وجه الخصوص لوقف عمليات استلاب تاريخ وحضارة الشعوب العربية قديماً وحديثاً في وقت تحولت فيه مادة التاريخ في مدارس بعض البلدان العربية إلى مادة اختيارية !! .

وهكذا كان الدافع الأساس لكتابة هذا الكتاب جذب اهتمامات المتخصصين في مجال تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته ، بعد أن سيطر المؤرخون وعلماء الحضارات في الغرب سيطرة تامة على مجال التأريخ لشعوب الشرق الأدنى القديم مما أدى إلى ظهور عدة نظريات غربية تفسر تاريخ المنطقة وحضارتها من منظور غربي خالص . فكانت النظريات المسيحية التي تقسم التاريخ العام للبشرية إلى ما قبل المسيح عليه السلام وما بعده . أما النظرية اليهودية الصهيونية فهي النظرية الغالبة في مجال كتابة تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، وكان الهدف من هذه النظرية تأصيل الوجود اليهودي في فلسطين وتحجيم الوجود الفلسطيني وتهويد تاريخ الشرق الأدنى القديم ، وتشويه المادة التاريخية ، ومحاولة ربط الإسرائيليين القدامى بالإسرائيليين المعاصرين في رباط تاريخي يحقق لهم الهيمنة والسيادة قديماً وحديثاً .

وقد أصدرت دوائر المعارف والموسوعات التي هوّدت الشرق الأدنى القديم والتي جعلت من فلسطين بلداً يهودياً خالصاً طوال تاريخه القديم والمسيحي والإسلامي والحديث ، وتم طمس الهوية العربية للمنطقة ثم طمس هويتها المسيحية والإسلامية في العصرين المسيحي والإسلامي ، وصار العرب من المنظور الغربي ليس لهم تاريخ قديم أو حضارة قديمة تستحق أن توضع في مصدر يتحدث عن المصريين والبابليين والآشوريين والفرس واليونان والرومان ، في الوقت نفسه الذي تُخَصّص فيه أبواب عن العبريين والإسرائيليين واليهود رغم أنهم بلا منجزات تاريخية أو حضارية في التاريخ القديم .

والحقيقة أن المؤلف محمد خليفة حسن قدم رؤية جديرة بالاهتمام في كتابه الذي اشتمل على بابين تضمن كل واحد منهما أربعة فصول ، وحتى يُفصِّل فكرته أو رؤيته العربية لتاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته ناقش بدايةً غياب الرؤية العربية لتاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته ثم قدم نقداً واعياً للرؤية الغربية في كتابة تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته وأثبت عروبة الشعوب (السامية) القديمة من خلال عرضه لأسس الوحدة الثقافية لشعوب المنطقة العربية داخل الشرق الأدنى القديم ، وهنا استخدم تجاوزاً كلمة السامية في محل العربية ، ولخص هذه الأسس في وحدة الجنس والوحدة اللغوية ، والوحدة التاريخية الجغرافية ، والوحدة الدينية ، والوحدة الثقافية الحضارية .

وركز حديثه بعد عرضه للموقف العربي والإسلامي من الفكر الأسطوري في الشرق الأدنى القديم على مكانة العرب في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته : كيف كانت علاقة العرب بالشرق الأدنى القديم ؟ ، والهجرات العربية القديمة ، وتكوين الشعوب العربية (السامية) ثم اللغة العربية ونشأتها - ثم ناقش بالتفصيل علاقة الأدب العربي القديم بالآداب السامية ، وتفاعله مع الآداب السامية ، كما ناقش قضايا الأدب العربي القديم في ضوء آداب الشرق الأدنى القديم سواء قضية تسميته قبل الإسلام بالأدب الجاهلي ، أو قضية التأريخ له، هذا بالإضافة إلى التأثير العربي القديم في آداب الشرق الأدنى القديم ، وجوانب أخرى تساعد في فهم الأدب العربي القديم من خلال استقراء تأريخ الشرق الأدنى القديم .

أفرد المؤلف الباب الثاني لمناقشة أربعة موضوعات في أربعة أبواب ، الموضوع الأول يتناول العرب في شبه الجزيرة العربية ووضعهم الديني قبل الإسلام ، والأوضاع السياسية والدينية في جنوب شبه الجزيرة العربية ، والموضوع الثاني يتناول العرب وبلاد الحبشة : الأصل العربي للأحباش ، والوضع الديني واللغة الحبشية والأدب الحبشي . أما الموضوع الثالث فيتناول علاقة العرب بشعوب بلاد ما بين النهرين . ويناقش المؤلف هنا الأوضاع السياسية بالإضافة إلى الوضع الحضاري والديني والتراث الأسطوري ، وأخيرًا يتناول في الموضوع الرابع العرب وشعوب المنطقة السورية أي : الكنعانيون والفينيقيون ، الآراميون والعبريون وأخيراً الفلسطينيون حيث أوضح إهمال التاريخ الفلسطيني القديم بواسطة مؤرخي العرب ، وبيّن وصف العهد القديم للتاريخ الفلسطيني وقدم أدلة عديدة على عروبة فلسطين .

يُرجع المؤلف أسباب غياب الرؤية العربية الإسلامية لتاريخ الشرق الأدنى وحضارته إلى انقطاع الاستمرارية في الوعي العربي للتاريخ ، وعدم القدرة على الربط بين الماضي والحاضر في تاريخ الأمة العربية والفشل في إيجاد وتحديد العلاقة التاريخية والحضارية الرابطة بين تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده ، ولهذا بدا التاريخ العربي الإسلامي تاريخًا ممزقًا ومقسَّمًا إلى عدة عصور مرتبة ترتيبًا تاريخيًا عشوائيًا ، ولا يوجد لها رابط حقيقي من صميم التاريخ العربي والإسلامي ، يشد هذا التاريخ بعضه إلى بعض ليعطي في النهاية تاريخًا شاملاً وكاملاً للمنطقة العربية في تاريخها القديم وفي تاريخها الإسلامي .

ومن الأسباب أيضًا في التأثير على أسلوب ومنهج الكتابة التاريخية لدى المؤرخين العرب خلال القرنين الأخيرين دور الاستشراق ، فقد عمل الاستشراق من خلال الاستعمار على تقوية النزاعات الإقليمية من خلال القيام بكتابة تواريخ مستقلة للشعوب العربية ، وتشجيع المؤرخين العرب على تناول تاريخهم تناولاً محلياً إقليمياً .

ولا شك أن المنهج الاستشراقي في دراسة التاريخ العربي الإسلامي قد أثّر على عدد كبير من المؤرخين العرب والمسلمين الذين انبهروا بالمنهج العلمي للاستشراق، وبالنتائج العلمية التي تحققت وبالنظريات الفكرية التي تطورت ، أضف إلى كل هذا ، التخلف العلمي الذي أصاب العرب والمسلمين خلال القرون الماضية ، وهو ما أدى إلى عدم الاهتمام ، أو العجز في تتبع آثار التاريخ القديم ، فلم تتوافر المادة العلمية الكافية لإثبات أحداث التاريخ العربي القديم .

وقد نجح علماء التاريخ والآثار في الغرب في التعتيم على أخبار وآثار شبه الجزيرة العربية ، وعلاقاتها بالشعوب المحيطة بها من أجل فصلها تاريخياً وحضارياً عن هذه الشعوب .

* * *

كشف المؤلف في كتابه عن ملامح الرؤية النقدية الغربية في كتابة «تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته» ، فأوضح أن معظم الكتابات الخاصة بتاريخ الشرق الأدنى القديم تركز على دراسة التاريخ العربي القديم دراسة مستقلة عن تاريخ الشرق الأدنى القديم ، وكأن شبه الجزيرة العربية لا تمثل جزءًا من الشرق الأدنى القديم ، والسبب الحقيقي وراء هذا الأمر هو الرغبة في تشويه

التاريخ العربي القديم والتحقير من شأن الوضع الحضاري للعرب قبل الإسلام، وإنكار دور العرب في تكوين الشعب السامي في بلاد النهرين وغيرها.

وركزت الدراسات الغربية على تاريخ الإمبراطوريات في الشرق الأدنى القديم مع إهمال الدول التي ظهرت فعلاً في شبه الجزيرة العربية، وبعضها من أقدم النظم الحكومية في منطقة الشرق الأدنى القديم مثل دول معين وسبأ وحميَّر في الجنوب، ودولة المناذرة والغساسنة في الشمال، بالإضافة إلى المراكز المهمة المنتشرة في شمال شبه الجزيرة، وعلى ساحلي البحر الأحمر والخليج العربي وعلى بحر العرب أو المحيط الهندي، ويرتبط بهذا أيضًا تأثير الفكر الاستعماري الحديث على عقلية مؤرخي الشرق الأدنى القديم، ودارسي حضارته في الغرب، فكان من أهم النظريات التاريخية التي تم تطويرها وجعلها من المنهج الثابت في دراسة تاريخ الشعوب العربية السامية القديمة البُعد عن اعتبار شبه الجزيرة مركزًا حضارياً لشعوب المنطقة السامية والبحث عن مراكز جاذبية بعيدة عن هذا المحور الرئيس لوحدة شعوب المنطقة السامية قديمًا، ونتج عن هذه النظرية اعتبار العرب شعبًا لا قيمة له في التاريخ القديم، وليس له وزن سياسي أو حضاري. تاريخهم غامض مجهول، أو هكذا شاء له المؤرخون المعاصرون في الغرب، الذين تجاهلوا بلاد العرب، وأهملوا عن قَصد في عمليات البحث التاريخي الأثري في شبه الجزيرة العربية، كما ظهرت نظرية الوطن السامي الأول واللغة السامية الأم ورغم وجود أدلة على أن بلاد العرب هي مهد العرب الساميين الأوائل وأن العربية هي اللغة السامية الأم إلا أن مؤرخي الغرب خلال ق١٩ و ٢٠ الميلاديين، طرحوا هاتين المسألتين من أجل التشكيك في القيمة الحضارية والتاريخية للعرب في التاريخ القديم.

انتقل المؤلف بعد ذلك إلى قضية مهمة تتعلق بعروبة الشعوب «السامية» القديمة، فذكر أن مؤرخي الغرب وبخاصة المستشرقين منهم اتجهوا إلى اختيار «المنطقة السامية» للدلالة على ما نُسَمِّيه نحن بالمنطقة العربية في التاريخ القديم، وهي التسمية الصحيحة التي يتجنبها المؤرخون عامة والمستشرقون منهم على وجه الخصوص في محاولة منهم للتخلص من كل ما يشير إلى دور خاص للثقافة العربية في تكوين شعوب المنطقة العربية في الشرق الأدنى القديم، واختاروا كبديل للتسمية (عربي) التسمية (سامي) نسبة إلى سام بن نوح المذكور في التوراة والتي اعتمد عليها كثير من المؤرخين في تقسيم السلالات البشرية حسب أبناء نوح ومناطق استقرارهم بعد الطوفان. وقسم المؤلف سكان منطقة الشرق الأدنى القديم إلى مجموعتين من الشعوب، المجموعة الأولى مجموعة الشعوب الداخليّة التي تكوّن قلب الشرق الأدنى القديم وتتوحد فيما بينها بمجموعة من العوامل منها الوحدة الجنسية، والوحدة اللغوية، والوحدة التاريخية، والوحدة الدينية والوحدة الثقافية الحضارية. وقد شرح المؤلف هذه العناصر كلاً على حدة، وهذه المجموعة تشتمل على العرب في شبه الجزيرة العربية وعلى شعوب المنطقة السورية، وتشمل مجموعة الشعوب الداخلية أيضًا الشعوب التي سكنت منطقة النهرين بداية بالأكّديين الذين انقسموا فيما بعد إلى البابليين والآشوريين، وقد اصطلح علماء حضارات الشرق الأدنى على تسمية شعوب هذه المجموعة الداخلية باسم مجموعة الشعوب السامية والمؤلف يسميها باسمها الحقيقي وهو مجموعة الشعوب العربية لأسباب أوضحها في كتابه.

أما المجموعة الثانية فهي مجموعة من الشعوب المحيطة بالمنطقة العربية الداخلية، أي مجموعة الشعوب الخارجية وتشتمل على مصر غربًا وعلى إيران شرقًا وتشتمل أيضًا على بلاد الأناضول شمال المجموعة الداخلية، ويرى المؤلف أن تاريخ العرب في بلادهم الأساسية وهي شبه الجزيرة العربية يجب أن يبحث مرتبطًا بتاريخ المنطقة العربية السامية وبتاريخ الشرق الأدنى القديم عامة.

وقد أثار المستشرقون قضية الوطن السامي الأول أو مهد الساميين، ووضعوا فيها العديد من النظريات والآراء التي هدف معظمها إلى الابتعاد عن شبه الجزيرة العربية والتركيز على مواطن أخرى داخل المنطقة العربية السامية

وخارجها . فرأى البعض أن مرتفعات كردستان مهد الساميين ، بينما رأي البعض الآخر أن بلاد النهرين هي المهد الأول للساميين، ويجعل فريق ثالث من أفريقيا مهداً للساميين أو من شمال سوريا . وقد وُضعت كل هذه الآراء لإبعاد الأنظار عن شبه الجزيرة العربية ، الوطن الحقيقي للساميين الأوائل ، فكل المناطق المذكورة آنفًا سكنتها في الأصل شعوب غير سامية (غير عربية) فيما عدا شبه الجزيرة العربية التي ظلت طوال تاريخها المعروف محافظة على استقلاليتها وعزلتها النسبية ، كما ظلت بعيدة عن أطماع الدول والإمبراطوريات المجاورة ، إذ احتفظت شبه الجزيرة العربية باستقلالها السياسي والحضاري لصعوبة وصول الجيوش الغازية إليها .

ومن ناحية أخرى تمكنت شبه الجزيرة العربية وبوسائل سلمية خالصة من مد نفوذها السكاني والحضاري إلى خارج حدودها . مما أدى إلى إحداث تغير جذري في البنية السكانية لأقاليم الشرق الأدنى القديم ، أدى بالتالي إلى تحول بعض هذه الشعوب إلى شعوب عربية سامية مثلما حدث في بلاد الرافدين وفي أقصى الغرب من الشرق الأدنى القديم حيث الساحل السوري ، ويُعتقد أن العبريين قبل وصولهم إلى أرض كنعان (فلسطين) ، كانوا مجموعة من العشائر السامية البدوية المتنقلة حول المدن العراقية الكبرى مثل أور في جنوب العراق وماري في وسطه وحرّان في شماله .

أما الآراميون فقد عاشوا أصلاً في الصحراء السورية العربية وهي امتداد طبيعي لشبه الجزيرة العربية.

ومثلما طوّر المستشرقون عدة آراء خاصة بالوطن السّامي الأول ، كذلك تم تطوير عدة آراء خاصة بلغة أم للساميين بعيداً عن شبه الجزيرة العربية ولغتها العربية، فاتجه المستشرقون إلى اللغة الأكّادية لغة الشعب السامي الأولى في بلاد النهرين . واللغة العبرية، بينما تتوافر في اللغة العربية مجموعة من الأدلة والخصائص التي تجعل منها الممثلة الأولى للغة السامية الأم، وأقرب اللغات السامية القديمة إليها ، ذلك لأن اللغة العربية لم تسبقها لغات أخرى في شبه الجزيرة العربية ، كما أن العرب لم يعرفوا في تاريخهم اللغوي قديمًا وحديثًا ما يعرف بالازدواجية اللغوية ، كما لم يشترك معهم أحد في الحياة داخل الجزيرة العربية ، هذا بالإضافة إلى احتفاظ اللغة العربية ، بعدد من الخصائص والظواهر اللغوية القديمة ، والتي لا توجد في اللغات السامية الأخرى على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . مما جعلها حجر الأساس في حل المشكلات اللغوية التي واجهت علماء اللغة على المستوى المقارن داخل المجموعة السامية ، والنتيجة الأساسية التي انتهت إليها دراسات المستشرقين على المستوى اللغوي المقارن تعطي وضعاً متميزاً للغة العربية في الدراسات اللغوية السامية المقارنة، حيث احتفظت العربية بأكبر عدد ممكن من الظاهرات اللغوية التي اختفت من اللغات السامية الأخرى كما أنها عبّرت دائمًا عن صلة قوية باللغة السامية الأم تجعلها أقرب اللغات السامية إليها مما أدى بالعديد من المستشرقين إلى اعتبار العربية أصلاً للغات السامية القديمة واعتبار شبه الجزيرة العربية المهد الأول للساميين .

* * *

انتقل المؤلف من موضوع اللغة إلى موضوع الأدب فناقش قضية علاقة الأدب العربي القديم بالآداب «السامية» القديمة ، ووضع السامية بين قوسين نظراً لأنها تحمل لديه مفهومًا يختلف عن المفهوم الذي يحاول المستشرقون نشره بين الناس ، فأشار إلى غياب البعد «السامي» في دراسات الأدب العربي القديم ، ويقصد المؤلف هنا عزل الأدب العربي القديم عن بيئته الطبيعية وهي البيئة العربية السامية القديمة، ومحاولة فهم قضايا الأدب العربي القديم فهمًا محدوداً داخل بيئتها العربية المحدودة في شبه الجزيرة العربية ، في ظل عزل تاريخ شبه الجزيرة العربية عن تاريخ الشعوب العربية السامية، والهدف بالطبع من الأمرين معًا هو تفتيت وحدة الشعوب السامية وإبعادها عن أصولها العربية القديمة ، وهو هدف ارتبط بالاستعمار الحديث الذي وَجّه الاستشراق إلى خدمته من خلال إيجاد نظريات تاريخية حضارية تثبت عزلة شبه الجزيرة العربية وغربتها عن بقية الشعوب

السامية، وتعمل على استئصال جذور الوحدة القديمة بينها وذلك من ضرورة البحث عن مراكز حضارية لشعوب المنطقة السامية بعيداً عن شبه الجزيرة العربية ، حيث دافع المستشرقون عن بلاد النهرين كمركز لحضارات الشعوب السامية ، والهدف من هذا العزل التاريخي هو إثبات العزلة الحضارية للعرب قبل الإسلام عن البيئة العربية السامية القديمة .

* * *

وتناول المؤلف بالبحث قضايا الأدب العربي القديم في ضوء آداب الشرق الأدنى القديم فناقش قضية تسمية الأدب العربي قبل الإسلام بالأدب الجاهلي ، وهو يرى أن التسمية «الأدب العربي القديم» هي التسمية المناسبة ، فكل الآداب السامية التي ينتمي إليه الأدب العربي آداب قديمة، انتهى عصرها الأدبي ، وفقًا لعامل معين ، قد يكون حضارياً أو سياسياً ... ولذا فما أنتجه العرب من أدب قبل الإسلام إنما يندرج تحت الإنتاج الأدبي السامي القديم ، وإذا أردنا تخصيصه فلنقل «الأدب العربي القديم» كما يقال : الأدب العبري القديم ، والأدب السرياني والأدب الأكّدي (البابلي والأشوري) إلى غير ذلك من الآداب السامية ... والأدب العربي لابد أن نستخدم معه صفة القديم لأنه لم ينته بظهور الإسلام كما انتهت الآداب السامية الأخرى ، ولكنه استقر بفضل استخدام الإسلام للعربية كلغة له ، هذا كما أنه على المستوى الأدبي لم يكن العصر المسمى بالجاهلي عصر جهالة أدبية ، كما أن كلمة جاهلي تصرف الذهن إلى المعنى الديني ، كما أنها لا تعبر تعبيرًا حقيقيّاً عن طبيعة الحياة العربية القديمة التي اشتملت على كثير من الإيجابيات كما اشتملت على كثير من السلبيات .

وناقش المؤلف غياب العامل الأدبي في تقسيم الأدب ، والاعتماد على التقسيم الذي ارتبط بعدة عصور مرتبطة بدورها بالتاريخ السياسي للمسلمين ، مثل أدب صدر الإسلام . أدب العصر الأموي ، أدب العصر العباسي ، الأدب العربي الحديث . وهكذا ، أو تقسيم الأدب على أساس إقليمي مثل الأدب المصري ، والأدب العراقي ، والأدب الأندلسي إلى غير ذلك .

ويرى المؤلف أن نسمي العصر الأدبي السابق للإسلام بالعصر الأدبي السامي ، ونسمي الأدب الذي ظهر بعد البعثة النبوية بالأدب الإسلامي ، فالأول ظهر في بيئة عربية سامية والثاني ظهر في بيئة عربية إسلامية ، ووفقًا للمنظور السامي يرى المؤلف ضرورة وجود عصور أدبية عربية سابقة على العصر الأدبي المسمى بالجاهلي أي قبل الإسلام ، ونظرًا لأن النظرية السائدة في مجال الدراسات السامية هي نظرية الأصل العربي الأول للساميين واللغات السامية فمن المنطق القول بضرورة الاعتقاد النظري في وجود أدب عربي قديم سابق على الآداب السامية القديمة ويعدّ أصلاً لها ، وهكذا يفترض وجود عصر أدب أسطوري يتناسب مع سيادة الأسطورة على الإنتاج الأدبي السامي ، والعصر الثاني عصر أدب تاريخي .

والاعتماد على الذاكرة أدى إلى ضياع نصوص الأدب العربي في الفترات السابقة على الإسلام ، إلا أن ما يلاحظ من أثر للأدب العربي القديم في آداب الشرق الأدنى القديم يثبت ذلك ، وهو ما ناقشه المؤلف تحت عنوان الأثر العربي القديم في آداب الشرق الأدنى القديم ، وضرب على ذلك مثالين : ملحمة جلجامش من أدب بلاد النهرين، ومثال آخر من كتاب العهد القديم ، ذلك الكتاب الذي لم تُدرك بعد أهميته العربية خاصة في مجال دراسات الأدب العربي القديم ، وبالمقابل كتب المؤلف عن أهمية اللغات والآداب السامية كمصدر للتعرف على ملامح حياة العرب قبل الإسلام .

* * *

ينقسم الباب الثاني (الشعوب العربية "السامية") القديمة إلى فصول أربعة عن : العرب في شبه الجزيرة العربية ، والعرب وبلاد الحبشة ، والعرب وشعوب بلاد ما بين النهرين، وأخيرًا العرب وشعوب المنطقة السورية .

في الفصل الأول ألقى المؤلف الضوء على مظاهر التقارب الشديد الذي وَحّد قديمًا بين الشعوب العربية السامية وغيرها في منطقة الشرق الأدنى القديم ومنها التشابه في اللغات التي تحدثت بها هذه الشعوب ، ووحدة

التاريخ ، والاشتراك في منطقة جغرافية واحدة وبيئة حضارية متقاربة نتج عنها حوار ديني متقارب أسهم في تطوير فكر ديني متشابه إلى حد كبير .

ويؤكد المؤلف على أن أبحاث علماء الحضارات السامية دلت على أن الجزيرة العربية هي المهد الأول للحضارات السامية ، وهي الأصل الذي خرجت منه الشعوب العربية السامية ، ومنه أيضًا تطورت اللغات السامية التي تعدّ حسب هذا الرأي لهجات متفرعة عن اللغة العربية ، تطورت إلى أن استقلت وأصبحت لغات قائمة بذاتها ؛ ومن الناحية الدينية حفظت الحياة العربية قبل الإسلام بعض المظاهر التي تعدّ عامة بالنسبة للساميين القدماء ، ونظرًا لظروف الصحراء لم يكن من الممكن إقامة نظام ديني مركب فقد ظلت الأوضاع الدينية بسيطة بساطة الحياة في الصحراء . ويبدو أن الجزيرة عرفت أول ما عرفت ديانة التوحيد حين سكن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام مكة ، وكانت الصيغة الأولى لديانة العرب صيغة توحيدية ، ثم حدث أن نسي العرب دين التوحيد إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فبدأوا يقدسون الحجارة لذاتها وفاتهم أنها رموز للحرم .. وعرفت العرب اليهودية والنصرانية ، ومنهم من كان يصبو إلى الصابئة ، وكان منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوءة ، إذ عرفت الجزيرة العربية بالإضافة إلى اليهودية والمسيحية نوعًا من التوحيد الفطري ، ووجد بعض الأفراد الذين آمنوا بعقيدة الإله الواحد ، ولم يشتركوا في عبادة الأصنام والأوثان التي عبدها بقية العرب .

أفرد المؤلف صفحات تحدث فيها بالتفصيل عن الأوضاع السياسية والدينية في جنوب شبه الجزيرة العربية ، فأشار إلى الدول التي ظهرت في الألف الثاني والأول قبل الميلاد مثل معين وسبأ وقتبان وحضرموت وغيرها ، وأشار أيضًا إلى النقوش والكتابات التي وجدت في جنوب الجزيرة العربية ، وعرفت باسم الكتابات العربية الجنوبية القديمة ، وما تفرع عنها من خطوط مثل الخط الحبشي والخط اللحياني والثمودي والصفوي .

أما عن الديانة فقد عرفت اليمن نظام تعدد الآلهة الذي ساد معظم مناطق الشرق الأدنى القديم ، ويتضح من هذا النظام ، ارتباط ديانة اليمن بالديانة العربية السامية القديمة بشكل عام في أكثر من مظهر .

فيما يتعلق بالفصل الخاص بالعرب وبلاد الحبشة أوضح المؤلف أن التأثير العربي لم يقف عند حدود الشرق الأدنى القديم بل تجاوزه إلى خارجه ، مما جعل الساحل الشرقي لأفريقيا يحمل الثقافة العربية مما أدى إلى ظهور دول عربية الثقافة في هذه المنطقة من قارة أفريقيا ، وتعدّ الحبشة من أهم البلدان الأفريقية المتأثرة بالثقافة العربية في نشأتها وتكوينها ، وأكبر دليل هو أن اسم الحبشة مأخوذ من قبيلة (حبشت) اليمنية ، كما أن اللغة الحبشية القديمة أخذت اسمها من اسم قبائل الجعز السامية العربية اليمنية ، أما التسمية أثيوبيا فقد وردت في التوراة وأطلقها اليونان على سكان الحبشة وتعني «الوجه المحترق» وهي تطلق على البلاد المتاخمة لحدود مصر الجنوبية ، وأكد بعض العلماء على الأصول العربية للأحباش ، ولم تتوقف علاقات الحبشة باليمن عند حدود التجارة والاقتصاد فقد تشابكت العلاقات الدينية والثقافية بين البلدين إلى حد الدخول في صراع للأديان الموجودة ، اختلطت فيه الأسباب الدينية بالدوافع الاقتصادية والسياسية .

ومن الصعب تحديد بداية حركة الهجرة العربية إلى الحبشة قبل الإسلام ، فالحركة اتصفت عبر التاريخ بالاستمرارية والهجرات العربية إلى الحبشة كانت جزءًا من حركة الهجرات الخارجية من شبه الجزيرة العربية إلى البلدان المحيطة وبخاصة إلى بلاد ما بين النهرين والمنطقة السورية ووادي النيل .

أما عن الوضع الديني فتاريخ الحبشة الديني يشبه إلى حد بعيد تاريخ فلسطين الديني ، ويقترب أيضًا من الوضع الديني في اليمن في الفترة السابقة على ظهور الإسلام ، وبعد ظهوره مباشرة ، فالحبشة عرفت في تاريخها القديم الحضارة العربية السامية ، التي نشأت بفعل الهجرات العربية المتوالية إليها ، والتي كان لها دورها في التكوين العرقي والثقافي للأحباش ، وهذا الأمر

نفسه ينطبق على فلسطين .

وجاءت الثقافة الإسرائيلية لتشكل عنصرًا ثقافياً دينياً للحبشة في تاريخها القديم ، بعد أن استوطنت في الحبشة عناصر يهودية ، وذلك بعد هجرات الساميين العرب إليها ، وقد اندمجت العناصر اليهودية مع مرور الزمن في العناصر الحامية والإفريقية ، وأثروا فيها ، كما تأثروا بها . وفي بداية القرن الرابع تدخل المسيحية الحبشة ، ومنذ ذلك الحين ينتاب تاريخ الحبشة غموض شديد ، وفي القرن السادس الميلادي يظهر اليهود من جديد كقوة في اليمن تضطهد نصارى اليمن ، وتمكن اليهود من فرض سيادتهم على اليمن في الفترة السابقة على ظهور الإسلام .

أما عن اللغة الحبشية فيذكر المؤلف أنها لغة سامية خالصة في أصلها وجوهرها ، تم زرعها في الأرض الحبشية بواسطة المهاجرين العرب من اليمن إلى الحبشة، وهي تحمل طابعًا عربياً سامياً في أصواتها وقوانينها الصوتية ، وفي جذورها وتراكيبها ، وفي كل ما يعد من بنية اللغة وجوهرها ... أما علاقة اللغة الحبشية باللغة العربية فهي علاقة قوية تفوق علاقتها ببقية اللغات السامية، وقد احتفظت اللغة الحبشية ببقايا للإعراب وضّحت صلتها القوية باللغة العربية .

* * *

انتقل المؤلف بعد هذا إلى مناقشة موضوع العرب وشعوب بلاد ما بين النهرين ، وهنا يذكر أن أقدم الهجرات العربية السامية إلى أرض الرافدين تعود إلى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد ، وتُعد أقدم الهجرات العربية السامية على الإطلاق ، ومع بداية العصر التاريخي في منطقة ما بين النهرين حوالي ٣٠٠٠ ق . م كان للساميين العرب والسومريين وجود مشترك في المنطقة .

وتمثل اللغة الأكّدية الفرع الشمالي الشرقي من أسرة اللغات العربية السامية القديمة ، ومع هجرات الأقوام الأكّدية والبابلية (الأمورية) والآشورية إلى وادي الرافدين انتشرت اللهجات العربية التي تطورت إلى لغات مستقلة عن أصلها العربي الأول ، واشتركت معًا في مجموعة خصائص لغوية تشير إلى أصلها الواحد .

والديانة في منطقة ما بين النهرين ديانة طبيعية كغيرها من ديانات الشرق الأدنى القديم ، تقوم على أساس عبادة القوى الكونية التي تتحكم في خصوبة الأرض في بيئة زراعية ، وإلى جانب الاعتقاد في تعدد الآلهة وفي اتحادها أحيانًا في شخص إله واحد ، انتشرت في بلاد ما بين النهرين بعض المظاهر الدينية التي تعدّ بشكل عام جزءًا من مظاهر الديانة السامية القديمة . وقد ظهر تأثير الدين على ما أنتجه البابليون والآشوريون من تراث أدبي وفني ، نظرًا لأن الدين طبع الحياة البابلية الآشورية بطابعه ، ومن ناحية أخرى تعدّ حضارة ما بين النهرين من أغنى الحضارات العربية السامية القديمة في تراثها الأسطوري ، وربما كان السبب في ذلك أن معظم الأساطير البابلية الآشورية هي في الأصل أساطير سومرية ورثها البابليون والآشوريون وطوروها دون تغيير .

ثم ناقش المؤلف بعد ذلك موضوع العرب وشعوب المنطقة السورية واتبع في هذا منهجًا موحدًا فهو يناقش بداية الوضع السياسي فالوضع الديني وأخيرًا الوضع الحضاري، وقد يناقش الوضع اللغوي، بينما فصل الحديث أكثر فيما يتعلق بالعبريين ثم الفلسطينيين .

فيما يتعلق بالكنعانيين ذكر المؤلف أنهم عاشوا في المنطقة المطلة على البحر المتوسط من ناحية ، وعلى الصحراء من ناحية أخرى ، فكانوا حلقة اتصال في أوقات السلم ، ومركزًا تلتقي عنده الطرق المؤدية إلى ثلاث قارات، وقد ضمت هذه المنطقة سوريا وفلسطين ولبنان وعاشت فيها شعوب مختلفة من بينها الكنعانيون والآراميون والفلسطينيون والعبريون وغيرهم ، ومن الجماعات البارزة التي كوّنت سكان هذه المنطقة الجماعة القادمة إليها من الصحراء، والتي قامت بدور مهم في التكوين الجنسي لشعوب المنطقة ، وفي الأحداث التاريخية ولأن العنصر القادم من الصحراء عنصرٌ عربيٌ ساميٌ بطبيعة الحال ، والكنعانيون من أهم الشعوب التي نشأت وعاشت في هذه المنطقة قديمًا ، وعلى الرغم من وجود عناصر أجنبية غير السامية في المنطقة ، إلا أن التأثير العربي السامي ظل قويًا بل طبع الحياة الكنعانية بطابعه الخاص ، فظلت

الأحوال الاجتماعية والحضارية ، أقرب إلى أحوال العرب الساميين ، وبخاصة القادمين من الصحراء الذين احتفظوا بالتقاليد العربية السامية الأصيلة .

ويشير المؤلف إلى أن الديانة الكنعانية قد سبقت ظهور الفكر الديني الإسرائيلي في منطقة فلسطين، فقد تركت هذه الديانة بعض الآثار على الديانة الإسرائيلية بعد استقرار القبائل الإسرائيلية في المنطقة ، وبانتهاء النظام القبلي بالتدريج اندمج أفراد القبائل المختلفة في اتحاد إقليمي يضم جميع القبائل مما أدى إلى اختلاط الإسرائيليين بالكنعانيين ، كما استقر الإسرائيليون في بعض المدن الكنعانية .

ورغم فشل الكنعانيين في تكوين قوة سياسية إلا أنهم من الناحية الحضارية تركوا أثرهم الواضح على شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم ، فإليهم يرجع تأسيس حضارة فلسطين القديمة ، التي على أساسها تطورت الحضارات التالية ومن الناحية اللغوية تعدّ الكنعانية في رأي كثير من علماء اللغات السامية أقرب اللغات إلى اللغة السامية الأم وهي اللغة العربية القديمة التي تحدثت بها الجماعات القادمة من قلب الجزيرة العربية ، ومنها تطورت مجموعة اللهجات التي كانت الكنعانية إحداها .

* * *

أما الآراميون فتعود نشأتهم إلى موجات الهجرة العربية من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد النهرين حيث استقروا في حرّان ، منطقة الفرات الأوسط ، ثم هاجروا إلى المنطقة السورية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وأسسوا مستعمرات حضرية تحولت إلى ممالك متحاربة فيما بينها ، وتشير الأخبار الواردة في التوراة والمصادر الأخرى إلى قِدم الآراميين من ناحية وصلتهم القوية بالكنعانيين وبالعبريين ، كما تشير إلى أصلهم العربي .

ورغم أن الآراميين لم ينتشروا على المستوى السياسي إلا أن لغتهم الآرامية انتشرت في مناطق واسعة بفضل نشاطهم التجاري الواسع الذي غطى معظم بلدان الشرق الأدنى القديم ، وغلبت الآرامية اللغات الآشورية والبابلية والفارسية ، وكان لها دور كبير في القضاء على الأكدية والكنعانية والعبرية ، وانتشر الخط الآرامي انتشارًا واسعًا ، وهو في الأصل مأخوذ من الخط الكنعاني ، وتطور الخط العبري والخط الآشوري المربع من الخط الآرامي بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد ، وكذلك تطور الخط النبطي الذي تطور بدوره عن الخط العربي ، كما تعود الخطوط الآرامية والفارسية والهندية إلى أصول آرامية - كما تطور عنه الخط السامري والتدمري والنبطي الذي نشأ عنه الخط الحميري العربي، ومنه تولد الخط الكوفي، ومنه خط النسخ ، وبسبب اتساع الآرامية تعددت لهجاتها وغطت مساحة واسعة من الأقاليم، فهناك آرامية شرقية وآرامية غربية ، وانقسمت بدورها إلى لهجات ، ويذكر المؤلف أنه لسهولة الأبجدية الآرامية المشتقة من الفينيقية وسهولة النحو الآرامي استعمل الآشوريين والأخمينيون الفرس الآرامية في إدارتهم وحولوا الآرامية إلى لغات عامة للشرق الأدنى القديم .

أما العبريون فتعود نشأتهم في تاريخ الشرق الأدنى القديم إلى الهجرات العربية ، في شبه الجزيرة العربية إلى المنطقة السورية وبخاصة إلى فلسطين الواقعة إلى الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية ، وقد استخدمت تسميات للتعريف بهذه الجماعة منها عبري ، ومنها إسرائيلي ، ومنها يهودي، ويذكر المؤلف أنه يجب التفرقة بين هذه المسميات المتعددة للجماعة نفسها بناء على الأسس التاريخية والجغرافية والدينية ، فالاسم عبري هو أقدم هذه المسميات ، ويطلق على الشعب الذي نزح مع الهجرات العربية القديمة من قلب الصحراء إلى الأجزاء الشمالية من منطقة الشرق الأدنى ، واستقر في منطقة فلسطين ، والاسم إسرائيلي هو اللفظ الأكثر استخدامًا بعد زوال الاسم عبري ، ويعود إلى زمن يعقوب عليه السلام ، ويخص نسله ، ويستبعد العرب وغيرهم ، والاسم إسرائيلي + يهودي، مسمى سياسي جغرافي للإسرائيليين بعد انقسام المملكة إلى مملكتين : إسرائيل الشمالية ويهوذا الجنوبية، والاسم يهود اسم جنس يطلق على الإسرائيليين شماليين وجنوبيين بعد انتهاء الوجود السياسي لبني إسرائيل ، وأصبحت الديانة تعرف أيضًا

باليهودية ، وإسرائيل : اسم يطلق بعد قيام إسرائيل على اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين بعد ظهور دولة إسرائيل ولا يطلق هذا الاسم على كل اليهود، فقد أصبح للاسم دلالة جغرافية سياسية للدولة وليس اسماً لكل الشعب اليهودي .

وعن الوضع السياسي يذكر المؤلف أن العبريين لم يستطيعوا عبر تاريخهم القديم أن يكوّنوا قوة سياسية ذات أثر يذكر في تاريخ الشرق الأدنى القديم إلا أن الجماعة العبرية ظلت محافظة على كيانها بفضل تماسكها الديني «وقد ساعدت طبيعة الديانة العبرية القديمة على هذا ، فقد ربطت بين الشعب والدين في عهد لا يمكن التخلص منه في سهولة» ويتلخص التاريخ العبري في ارتباطه بالدين والعقيدة إلى : مرحلة الآباء وهي أقدم المراحل ، تليها مرحلة الخروج من مصر، ثم مرحلة الوحي في سيناء وإعطاء التوراة وبناء الحياة الاجتماعية لليهود وهذه المرحلة مكملة للمرحلة السابقة عليها، والمرحلة الرابعة هي مرحلة دخول كنعان التي ارتبط فيها التفكير الديني بالتفكير العسكري .

وتمكن العبريون من إنشاء أول مملكة عبرية في التاريخ الإسرائيلي : المملكة الداوودية حيث توحدت كل القبائل الإسرائيلية وتم الاستيطان الإسرائيلي الكامل لكل كنعان .

كانت اليهودية في مرحلتها الأولى نهاية لعصر ديني وبداية لعصر ديني جديد ، فهي نهاية للفكر الديني الأسطوري القديم وبداية لمرحلة دينية يؤدي فيها العقل الدور الرئيس في الربط بين الإنسان والإله .

وقد طرأت على الديانة اليهودية بعض التغييرات التي أثرت على هذه النظرية العالمية للدين ، وسببت ما يمكن تسميته بالردة أو النكسة الدينية التي عادت ببعض الصفات الدينية التي كانت اليهودية قد خلصت الدين منها سابقًا ، والتي تسببت فيما بعد في ظهور حركة إصلاح دينية من داخل اليهودية نفسها ، تقابلها حركة إصلاح خارجية تبلورت في ظهور الديانة المسيحية ثم الديانة الإسلامية لإصلاح مسار الفكر الديني التوحيدي وإعادته إلى نقائه .

وكان أخطر مظاهر هذه الردة محاولة تخصيص رسالة التوحيد في اليهودية وجعلها مقصورة على الشعب الإسرائيلي إذ لم يحاول اليهود بذل أي جهد في سبيل نشر عقيدة التوحيد بين جيرانهم .

وهكذا دخلت اليهودية في مرحلة انغلاق على نفسها فمنعت التبشير بالتوحيد للبشرية وجعلته قاصراً على اليهود كما ربطت العقيدة بالأرض، وجعلت الخلاص خاصاً باليهود دون البشرية وفي هذا كله ابتعدت اليهودية عن روح الديانة التوحيدية الحقة .

* * *

ونأتي إلى المبحث الأخير وهو خاص بالفلسطينيين وفيه أوضح المؤلف إهمال المؤرخين الغربيين المتخصصين في الشرق الأدنى القديم وحضارته للتاريخ الفلسطيني القديم ، فقد عمد المؤرخون إلى إهمال وضع فصل خاص للفلسطينيين في شكل عمل مستقل، وهذا الإهمال مقصود لذاته بسبب سيطرة المؤرخين اليهود في البداية على مجال الكتابة التاريخية عن فلسطين ، ولذلك أخرجوا الشعب الفلسطيني القديم من دائرة البحث كشعب من شعوب الشرق الأدنى القديم مع التركيز على دراسة تاريخ العبريين، وذلك لتأصيل الوجود اليهودي في فلسطين واستبعاد كل الشعوب الأخرى التي شاركت العبريين في فلسطين .

وفي التعريف بفلسطين والفلسطينيين في المصادر اليهودية نجد تعتيمًا شديدًا وإيهامًا بأن الفلسطينيين شعب غريب ليست له أصول في المنطقة . والمعروف أن تاريخ فلسطين ارتبط ارتباطًا عضوياً بتاريخ المنطقة المحيطة بفلسطين من الجنوب والشمال والشرق والغرب وتشكلت البنية السكانية لمنطقة فلسطين بتأثير من الأوضاع السياسية والوضع الجغرافي الذي جعل من فلسطين هدفًا دائمًا للهجرة والغزو .

وقد هاجر إليها القادمون من شبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص، وذلك لقرب فلسطين من شبه الجزيرة العربية واعتبار فلسطين امتداداً شمالياً غربياً للصحراء العربية ، كما أنها من مناطق الجذب بالنسبة لسكان شبه الجزيرة العربية ، وبوصفها جزءًا من المنطقة السورية .

احتل الفلسطينيون المدن الكنعانية واستقروا بها أو دمروها وبنوا مدنًا جديدة على أنقاضها ، واندمجوا في الكنعانيين ، وورثوا جزءًا من ثقافتهم ، ويعتقد أن بعضهم استقر في الساحل الفلسطيني ، الذي أُعطي اسم فلسطين بواسطة الإسرائيليين ، ورغم أن مناطق الفلسطينيين كانت محدودة ، والمدن المنسوبة إليهم كانت معروفة إلا أن سيادتهم السياسية امتدت إلى مساحة أوسع وعاشوا جنبًا إلى جنب مع الكنعانيين والإسرائيليين الذين شاركوهم في سكنى فلسطين ، وقد وردت التسمية «الفلسطينيون» في التوراة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين . وورد ذكر «أرض الفلسطينيين» وتعطي التوراة أدلة قوية على الوجود المبكر للفسطينيين ، ويروي الإصحاح الرابع من سفر القضاة سيطرة الفلسطينيين على بني إسرائيل ، وبعض علاقاتهم الاجتماعية بهم ، كما يشير العهد القديم كمصدر مهم من مصادر تاريخ فلسطين القديم إلى الوجود الفلسطيني القوي، وربما يكون لجوء داود عليه السلام إلى الفلسطينيين هربًا من مطاردة شاؤول له أكبر دليل على مكانة الفلسطينيين ودورهم السياسي في النزاعات الإسرائيلية الداخلية بين بيت شاؤل وبيت داود .

وهكذا شكل الفلسطينيون طرفًا سياسيًا في العلاقات الإسرائيلية .

ويؤكد المؤلف على الوجود الفلسطيني حين يذكر أن حركة الهجرة من شبه الجزيرة العربية إلى فلسطين لم تتوقف لأن أسبابها لم تنته ، وهي الهجرة التي دعمت الوجود الفلسطيني العربي في مقابل عمليات الخروج المستمرة للإسرائيليين من فلسطين لأسباب متنوعة .

ويؤكد المؤلف أيضًا في نهاية هذا الفصل ونهاية الباب الثاني ونهاية الكتاب على أن تاريخ فلسطين القديم يحتاج إلى اهتمام شديد من الدارسين العرب ، فهو تاريخ يكتب من مصادر يهودية ولا توجد مصادر عربية تُغني الباحث عن العودة إلى المصادر اليهودية ، وتشكل رؤية عربية لتاريخ فلسطين وهي الرؤية التي نحتاج إليها في نظرتنا إلى تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته .

وهكذا وصل المؤلف إلى نتائج مهمة في كتابه القيم ، فهو متخصص في تاريخ المنطقة وحضارتها وفي لغاتها أيضًا وقد أثبت في كتابه أن الشعب العربي في شبه الجزيرة العربية هو الشعب الوحيد الذي تتوافر فيه المواصفات المطلوبة للشعب المحور تاريخًا وحضارة ، فبدون العرب لا نقيم للسامية قائمة وما الساميون إلا العرب أنفسهم ، ولذلك فمن الخطأ استخدام مصطلح السامية و"الساميون" واللغات السامية وغيرها من المصطلحات والتعبيرات المشابهة، والأولى أن نقول العروبة والعرب واللغات القديمة والشعوب العربية القديمة، والعرب هم الشعب الأصلي الأول الذي لم يسبقه شعب آخر في شبه الجزيرة العربية فهو غير وافد إلى المنطقة بينما تعد بقية شعوب المنطقة الداخلية شعوبًا غير أصيلة ووافدة ومقرها الرئيس الذي أتت منه هو شبه الجزيرة العربية لذلك يعود إلى شبه الجزيرة العربية فضل تكوين الشعوب العربية (السامية) وتكوين اللغات العربية (السامية) وأيضًا تكوين العقلية العربية (السامية) كعقلية متميزة عن العقليات الأخرى في العالم القديم .

ومع ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية وانتشاره في كل الشرق الأدنى القديم تعود السيادة العربية على الشرق الأدنى القديم على المستويات الدينية واللغوية والجنسية والثقافية والحضارية ، إذ كان انتشار الإسلام في بلدان الشرق الأدنى القديم بسبب خصائص الدين الإسلامي من ناحية وبسبب كون بيئة الشرق الأدنى القديم بيئة عربية ذات قاعدة ثقافية عربية مما مهد لانطلاق الإسلام في مناطق الشرق الأدنى القديم ، ومنه إلى قارات العالم القديم.

كانت هذه هي رؤية المؤلف ، رؤية عربية إسلامية جديرة بالاهتمام من جانب المؤرخين العرب والمسلمين الذين يهدفون إلى مراجعة كتابة التاريخ العربي الإسلامي من جديد وعلى أسس صحيحة ومن وجهة نظر عربية سليمة .

* * *